في الثقافة والتراث

ثقافة التسامح الديني والسياسي في اليمن[1]

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٦٣]

صدق الله العظيم

مدخل

يستدعي الحديث عن موضوع هذه الندوة التي اختير لها عنوان «ثقافة التسامح الديني والسياسي في اليمن» العودة - ولو بشكل عاجل - إلى قضيتين أساسيتين:

الأولى: تعريف سريع بكيفية تبلور ما أصبح «المذاهب» أو المدارس الإسلامية؛ (السنية والشيعية منها)، فيما عُرف تاريخياً بدايةً بمذاهب الأمصار أو الأقاليم، إلى المذاهب الفقهية المتبلورة المشهورة اليوم.

الثانية: «قضية الاجتهاد» و«التقليد»، وكيف أدى إقفال باب الاجتهاد إلى الانغلاق الفقهي والفكري، واندفاع تيار الخلافات إلى تصادمٍ بين

(١) في ندوة جسور الثقافة التي تمت في فندق سباء في صيف ٢٠٠٩م، وشارك فيها عدد من المفكرين والمثقفين اليمنيين والعرب، ورأسها معالي الأخ الدكتور عبد الكريم الإرياني.

أصحاب المذاهب، بل أحياناً بين أصحاب المذهب الواحد، وأدى إلى اتهامات بالتكفير في كثير من الأمصار العربية والإسلامية، في تلك العصور المبكرة بعد القرن الرابع والخامس، وارتدى زياً معاصراً اليوم بأشكال وأسماء جاهلية بعيدة كل البعد عن روح الإسلام .. إن هاتين القضيتين مفتاح للحديث عن دخول مذهبي الإمامين الجليلين محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، والإمام الشهيد زيد بن علي (ت ١٢٢هـ/ ٧٤٠م) إلى اليمن، واستقرارهما بين ظهراني أبناء اليمن وفي زمن متقارب؛ منذ أواخر القرن الهجري الثالث وحتى اليوم، في تعايش وتبادل فقهي وفكري لم يعرف التصادم أو الصراع، دع عنك الاقتتال، بل التناظر والتتلمذ، وربما كان يقع أحياناً بعض الخلاف الفقهي أو المصطلحي، فيما نسميه اليوم الخلاف في وجهات النظر.

كان ذلك لأكثر من ألف ومئة عام من تاريخ اليمن شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، حتى اليوم؛ هذا بالإضافة إلى التعايش والسلام الاجتماعي التاريخي، وإن تبدلت دويلاته، مع أبناء اليمن من طائفة اليهود، وكذلك الفرقة الإسماعيلية (المكارمة) - وإن كانت أقلية - لكنها، ومنذ نهاية الدولة الصليحية التابعة للدولة الفاطمية في قاهرة المعز، وبوفاة الملكة السيدة بنت أحمد سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٨م)، عاشت الفرقة بين إخوانها - زيوداً وشوافع - في سلام وأمان، وإن كانت هي نفسها عقائدياً قد دخلت فيما عُرف بمرحلة الستر (المعروفة)! ورحل بعض زعمائها أو دعاتها إلى الهند وغيرها.

* * *

واسمحوا لي الآن ودون توسع أن أعود إلى القضية المتعلقة بموضوع تبلور مذاهب فقهاء الأمصار؛ "كالمدينة" أو "الكوفة" أو "البصرة" أو "العراق"، إلى مذاهب السنة الأربعة، وكذا المذهب الزيدي

والإسماعيلي والجعفري (الإمامي) لتستقر في الأخير، بعضها في قطر أو أكثر من قُطر فيما بعد.

لقد انتشر الفقهاء (عرباً ومواليَ) في المدن والأمصار الإسلامية، في القرن الثاني الهجري وما تلاه، كالحجاز والعراق ومصر وبلاد الشام واليمن وغيرها، ولم يكن هنالك مرجعٌ واحدٌ بينهم للإقليم نفسه؛ فالإمام الشافعي على سبيل المثال كان قد تردد على اليمن عدة مرات، بل تزوج من صنعاء وأخذ عن العلامة المحدث الكبير عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦ م) وغيره من علمائها، ولم يكن قد قَعَّد وبلور مذهبه الفقهي العظيم، بل كان آن ذاك على خلاف مع بعض معاصريه وتلاميذه من الفقهاء، وقد ذُكر أن له كتاباً بعنوان (كتاب اختلاف العراقيين)[١]، ومعروف أن آراءه القديمة في العراق تغيرت أو تجددت حين انتقل واستقر بمصر، وكما ابتعد تلميذه وناشر مذهبه المُزني (ت ٢٦٤ هـ/ ٨٧٧ م) منهجياً عن تعاليم شيخه الشافعي في الفروع؛ لكن ذلك الخلاف لم يكن بذلك القدر الكبير الذي كان بين الإمام أبي حنيفة وتلميذيه القاضي أبي يوسف والشيباني إمام أهل الرأي وصاحب (الجامع الكبير)، وناشر مذهب أبي حنيفة، صاحب **الخراج** والردود على مالك والأوزاعي وغيرهما، ولهذا قيل بشكل عام "**كانت آراء أبي حنيفة تُطبّق في أمور الشعائر والعبادات، وآراء أبي يوسف في أمور الإجراءات والمعاملات المالية والشيباني في مجال الأحوال الشخصية..**"[٢]. ومثال أخير حول الموضوع لإمام المدينة مالك بن أنس، الذي سيصبح له أتباع ومذهب، هو أحد مذاهب السنة الأربعة فيما بعد، فقد قال شارحاً المصطلح الذي استخدمه في الموطأ (ملخصاً هنا لمحقق "الموطأ"):

---

(١) وائل حلاق: من مذاهب الأمصار إلى المذاهب الفكرية، مجلة الاجتهاد، العددان ٥٧، ٥٨، ص ٤٧.

(٢) نفسه، ص ٤٧، وطبعة الموطأ، بيروت، دار الجيل، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

"في الواقع معظم محتويات هذا الكتاب ليست آرائي، وإنما هي بالأحرى الآراء التي تلقيتها من علماء بارزين عديدين. ولقد كانت آراؤهم عديدة بحيث إنها أفضت إلى التسليم. لكن هذه هي آراؤهم التي أخذوها من الصحابة، وأنا بالتالي أخذت هذه الآراء من هؤلاء العلماء الكبار. إنها تراث تطور من عصر لآخر حتى وقتنا الحاضر. وعندما أقول: "رأي" فإنه كذلك. وعندما أقول: "إن الأمر موضع اتفاق" فإن ذلك يعني أن ذلك الأمر كان موقع إجماع العلماء. وعندما أقول: "الأمر عندنا" فإن ذلك يعني أنه الأمر الذي يشكل عمل بلدنا وإقليمنا، وطبقة الفقهاء، وهو معروف عند العامة والعلماء معاً. وعندما أقول: "يرى بعض العلماء" فإن هذا يعني أنه رأيٌ قال به بعض العلماء وأنا أميل إليه. وإذا لم أسمع رأياً منهم، فإنني أمارس اجتهادي بحسب ما توصلت إليه، بحيث لا يحيد اجتهادي عن عمل علماء المدينة"[١].

أما **الزيدية** فقد كثر أتباع الإمام زيد بن علي في العراق والجيل والدَّيلم، قبل مجيء الإمام الهادي يحيى بن الحسن إلى اليمن (ت **٢٩٨**هـ / **٩١١**م) ليؤسس المذهب الزيدي، مع خلافات مع بعض فقهاء الزيدية الأوائل **وتقارب مع المعتزلة في أصولهم الخمسة**، وسيعرف منهجه فيما بعد بالهَدَويَّة، وستأتي مرحلة متأخرة ينهج فيها فقهاء وعلماء يمنيون مجتهدون منهجاً تجديدياً، وآخر يبتعد كثيراً أو قليلاً عن مؤسسي المذهب ويقترب كثيراً من منهج أهل السنة، كما هو معلوم، ويسوقنا هذا إلى الحديث عن **القضية الثانية المتعلقة "بالاجتهاد والتقليد"**.

إن أهمية هذه القضية في تاريخ الفقه والفكر الإسلاميين، تكمن في ذلك الحَجْر الفكري على الاجتهاد في حلّ معضلات المجتمع المستجدة

(١) نفسه، ص ٤٧، وطبعة الموطأ، بيروت، دار الجيل، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

بعد القرون الأولى، واعتبار من خرج على ما هو سائد، خارجاً على المذهب، بل ما هو أبعد من ذلك كالسجن أو العزل، وهو ما عاناه علماء كبار في مصر والعراق وبلاد الشام، ولقد تأمل في الأمر وأجاب عنه المفكر العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٦م) حين قال مقرراً:

"ووقف التقليدُ في الأمصار عند هؤلاء الأربعة، ودرسَ المقلدون لمن سواهم، وسدّ الناسُ بابَ الخلاف وطُرقه لما كثر تشعّب الاصطلاحات في العلوم، ولمّا عاق عن الوصول الاجتهاد. ولما خُشِي من إسناد ذلك إلى غير أهله، ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرَّحوا بالعَجز والإعواز وردُّوا الناس إلى تقليد هؤلاء، كل بمن اختصَّ به من المقلّدين، وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب. ولم يبق إلا نقلُ مذاهبهم، وعمل كلُّ مقلّد بمذهب من قلّده منهم، بعد تصحيح الأصول واتصال سندِها بالرواية، لا محصول اليومَ للفقه غير هذا. ومدّعي الاجتهاد لهذا العهد مردودٌ (منكوص) على عقبه مهجورٌ تقليدُه. وقد صار أهل الإسلام اليومَ على تقليدِ هؤلاء الأئمة الأربعة"[1].

وفي الحقيقة، فإن هذه المقولة ترجع إلى زمن أقدم من عصر ابن خلدون، فابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) أنكر على معاصريه (القرن الثالث) وجود مجتهد يقارن به من سبق من مجتهدي الأمة وعلمائها فيمن قد مضى، وإن كان هو نفسه في كتابه (الشعرُ والشعراء)، بعيد النظر في انتصاره للمحدثين من متأخري الشعراء على القدماء بقوله بعد نقد حصيف: " .. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره.."، ومن اللافت للنظر أن

(١) ابن خلدون: المقدمة، ط باريس، ٣ / ٣؛ ط ٣، د. وافي، ٣ / ١٠٥.

شيخ الإسلام الشوكاني (١٢٥٠ هـ/ ١٩٣٦ م) قد استخدم هذا المنطق نفسه، بل وبعض عباراته في دَحْضه لهذه المقولة (في مقدمة كتابه البدر الطالع)، وكان قد جند قلمه والكثير من وقته في الدفاع عن فتح باب الاجتهاد[١].

إن فهم هذه القضية فهماً عميقاً في مختلف مراحل تاريخنا العربي والإسلامي، ومنه اليمني جذور التعصب أو التسامح هنا أو هناك.

فمنهج المقلدين والمتعصبين من مقصري العلماء والمتفقهين، هو ما ندعوه اليوم بالإرهاب الفكري ضد حُرية الفكر والاجتهاد، رافعين شعار (إغلاق باب الاجتهاد) مفتين، على سبيل المثال، في حق مجتهدٍ كبير وإمام عظيم كابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م) "بأن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلَّ دمُه ومالُه! خصوصاً الحنابلة، فنودي بدمشق بذلك وقرئ المرسوم"[٢]، وقد سجن وامتحن غير مرة في الشام ومصر حتى مات في محبسه بقلعة دمشق. وكان ذلك حال تلميذه ابن قيم الجوزية.

لقد بلغت الحياة الفكرية والحضارة العربية الإسلامية ذروتها قبل ذلك بنحو ثلاثة قرون، وقد جاء علامتنا ابن خلدون بعد نحو نصف قرن على وفاة ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) الذي هدم فكرة التقليد من أساسها، وهاجم من قال بإغلاق باب الاجتهاد[٣]، ذاهباً إلى أن الإجماع قد أقر بإخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء، وسقوطهما...

---

(١) انظر كتابنا : الإمام الشوكاني رائد عصره، ص ١٢٨.

(٢) الشوكاني: البدر الطالع، بتحقيقنا، دار الفكر، دمشق، وانظر ابن حجر: الدرر الكامنة، ١ / ١٤٤.

(٣) أعلام الموقعين، ١/ ٨٠٠٧.

يقول ابن خلدون، الذي كان ظاهرة استثنائية مُدهشة في عصره، الذي خرج بمقدمته من ركام ظلماته: " .. وأما لهذا العهد، وهو آخر المئة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحنُ شاهدوه وتبدلت بالجملة.. وكأني بالمشرق قد نزل به ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة!"[1].

* * *

وبعد قرن على عصر ابن خلدون جاء العثمانيون الأتراك إلى بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية (٩٢٣هـ/ ١٥١٦م)، وبانسحابهم من اليمن عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م وعودهم إليه بعد ذلك ثانية سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٨ م، نعمت اليمن بنحو قرنين من الاستقرار النسبي، وظهرت فيه سلسلة من كبار العلماء المجتهدين المجددين، يمثلون "**التيار الزيدي المتفتح على أهل السنة**"، وهو تيار له جذوره في اليمن زاد من تقارب وتتلمذ المذهبين السائدين "الزيدي" و"الشافعي"، وكان من أبرز أعلامه المجتهدين محمد بن إبراهيم الوزير (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، وصاحب (العلم الشامخ) وغيره العلامة صالح بن مهدي المقبلي (ت ١١٠٨هـ/ ١٧٣٨م)، ومعاصره العلامة الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) صاحب متن "الأزهار وشروحه"، والعلامة الكبير الحسن بن أحمد الجلال (ت ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م)، وشيخ شيوخ العصر العلامة المعمر محمد بن إسماعيل الأمير (ت ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، وآخرهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني الذي نَهَج نَهْجَ من سبقه من أولئك المجتهدين ضد التعصب والانغلاق واستمرار دعوة الاجتهاد، والمحبة والإخاء،

(١) المقدمة، ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦.

والتواصل مع مدارس اليمن السنية في زبيد وحضرموت وذمار وصعدة وتعز، بل تجاوز قطر اليمن إلى أصقاع أخرى كمصر والحجاز والهند وغيرهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٣/ ١٧].

صدق الله العظيم

المشهد الثقافي

في التقرير العربي (الثاني) للتنمية الثقافية[١]

ها هو ذا التقرير (الثاني) للعام الثاني على التوالي، الذي أصدرته مؤسسة الفكر العربي التي يرأسها سمو الأمير خالد الفيصل، بين أيدي عددٍ أكبر من القُراء العرب بينهم اليمنيون كما هو منشور في تسع عشرة صحيفة عربية، من بينها صحيفة الثورة الغرّاء في ملحقها الشهري لهذا التقرير الصادر في ٢٢ آذار/ مارس الماضي.

لقد أثبت مشروع (كتاب في جريدة) الذي تُصدره منظمة اليونسكو شهرياً، بدعم من مؤسسة الشيخ محمد بن عيسى الجابر منذ عام ١٩٩٦م، مدى الفائدة العلمية والثقافية التي يعممها هذا المشروع الثمين والمجاني، فقد أصدر - أو بالأصح - نشر ١٣٩ كتاباً في مختلف فنون الثقافة والمعرفة، كان آخرها هذا التقرير الهامُّ.

هذا التقريرُ الذي يعالج بموضوعية واستفاضة «التنمية الثقافية» «والأزمة التي تطبقُ على الحياة الثقافية العربية»، وكان قد صدر في شهر تموز/ يوليو ٢٠٠٩ م (تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٩ م) عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في بيروت بعنوان «تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية».

---

(١) افتتاحية (الثوابت)، العدد (٦٠)، نيسان/ أبريل - حزيران/ يونيو ٢٠١٠م.

وقد نشرنا في العدد (٥٩) الأخير من الثوابت عرضاً ناقداً لذلك التقرير، بقلم الأستاذ المفكر والمحلل العربي منصف المرزوقي، بالإضافة إلى استعراضٍ عام لتقرير مؤسسة الفكر العربي في العدد نفسه كانت قد نشرته صحيفة «الشرق الأوسط». كما كتبتُ عنه عجالة في العدد الثاني من مجلة «مدارات استراتيجية»، التي بدأ في إصدارها حديثاً مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية.

* * *

وبالعودة إلى التقرير العربي الثاني للتنمية الثقافية، نجد أنه هدف في التمهيد إلى «إيجاد رؤية تحاول جاهدة أن تؤسس لمنهجية عمل ثقافي يتَّسم بالشمول والاستمرار..»، ويضم التقرير تساؤلات كثيرة في (ملفاته الخمسة) التي تُعالج: المعلوماتية كرافعة للتنمية الثقافية، والتمويل واستقلال الإدارة (في التعليم العالي وأزمة استقلالية الجامعات)، والخطاب الثقافي في وسائل الإعلام (المنهج والمفهوم)، والخطاب نفسه في الصحافة العربية، ويفرد الملف الرابع (للإبداع الأدبي) من رواية وشعر وسِيَرٍ ذاتية.. معتبراً عام ٢٠٠٨ م عام الشِّعر.

أما الملف الخامس فأفرده (للحصاد الفكري السنوي)، وتساءل عن أوضاع المسألة الديمقراطية «التي تشغل منذُ عقدين حيِّزاً واسعاً من التفكير والاهتمام والكتابة..»، وقد نالت مصر حديثاً طويلاً ناقداً، أما في التنمية فقد رأى التقرير بأن عام ٢٠٠٨ م كان حافلاً بألوانٍ مختلفة من الاحتفال الفكري والأكاديمي، على ما يشهد بذلك إيقاع المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية المنعقدة في موضوع من موضوعاتها خلال ذلك العام في مختلف الأقطار العربية، **ومنها اليمن التي لم تلقَ مزيداً من الضوء، باستثناء ذكرها بالسلب في جدول غريب يتيم من بين عشرات من الرسوم البيانية رقم (٢ - ٥)، عن الإنفاق على الطالب الواحد بحسب**

موازنات جامعات حكومية عربية مختارة في بلدان المشرق والمغرب و(الجنوب العربي؟!)[1] هكذا!!!

وجاء في الرسم البياني بأن اليمن يتم الإنفاق فيها على الطالب ٧٣٥ دولاراً؛ أي بما يعادل نحو ١٧٥,٠٠٠ ريال بالسعر السائد اليوم، وهو أقل من موريتانيا وأكثر من المغرب والسودان بقليل. وأعلى رقم هو ما يُنفق في الأردن، وذلك بمبلغ (٢٦٢٣) دولاراً من بين دول عربية أخرى.

إن هذا فيما يبدو جهلٌ أو تجاهل بمختلف أوضاع اليمن التنموية والثقافية والتعليمية، وإن كان يصح على وضعها ما جاء من التعميم عن التعليم في الوطن العربي وفي النظام الغربي.

قال التقرير إنه «من نافل القول أن جملةً هائلة من الأوضاع المزرية، التي تعيش في كنفها تجربة التنمية والبناء الاجتماعي الاقتصادي، وبناء الدولة والمؤسسات في البلاد العربية المعاصرة، إنما تتصل شديد الصلة بأوضاع التعليم الناحية منحى تدهور مخيف ومرعب»، ويضيف التقرير:

«فلأن التعليم أساس التنمية ومدماكها الذي لا تقوم [ولا] تستقيم من دونه، ومن دون ما يوفره لها من عائدات في مضمار تكوين الموارد البشرية المؤهلة، فإن غياب بل انعدام استراتيجيات خاصة للنهوض بأوضاعه؛ تخطيطاً وتمويلاً وتطويراً وتكييفاً مع الحاجات والمتغيرات، يفرد دوره الريادي كقاطرة للتنمية ويضعف من قدرته على تزويدها بحصة

(١) إنه من الغريب جداً أن يقع مثل هذا الخطأ الفادح بوصف الجمهورية اليمنية بالاسم البريطاني لجنوب اليمن الذي سقط بعد ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م ، قبل ٤٣ عاماً وبعد قيام الوحدة اليمنية المباركة في ٢٢ أيار/ مايو ١٩٩٠م، وفات هيئة التحرير: (اللجنة الاستشارية) بل ولجنة التدقيق والمراجعة، وفيها من نعرف من كبار المفكرين والكُتاب من المشرق والمغرب، بل ومنسق التقرير الأستاذ القدير سليمان عبد المنعم (أمين عام مؤسسة الفكر العربي).

هائلة من الطاقة الحية للاشتغال، وعلى الرغم من الإنفاق على قطاع التربية، إلا أن نتائج ذلك ما زالت حتى اليوم هزيلة وغير ذات قيمة أو أهمية؛ إذ ما برح قرابة نصف السكان[1] الإجمالي في البلاد العربية في عداد الجمهور الأُمي... أو يزيد».

لعل هذا يكفي في هذه المساحة المخصصة للافتتاحية، وما لم يزد وهو كثير أشد عتامة فيما سمي بالأسئلة الأظهر في التقرير، وهي تلك القضايا التي أثارت انتباه النخب الثقافية في العام ٢٠٠٨م، على نحوٍ أشد من ذي قبل، وبدءُ التركيز عليها دالٌّ على أن مستوى الوعي بأهميتها أعلى. «ويعني هذا التعريف للأسئلة الأظهر أنها ليست جديدة تماماً على الوعي العربي، كشأن سابقتها الأسئلة المألوفة، لكن فيها ما استجدّ ورفع من معدل أهميتها في وعي تلك النُّخب» وهو يعني بهذا ما ذكره عن «القوى الدولية الجديدة»، والأزمة السودانية والهجرة، والحركات الاجتماعية، ذاكراً بأن العلوم الاجتماعية في البلاد العربية تعاني نقصاً حاداً في الموارد العلمية والمنهجية والمؤسسية، لأسباب عديدة لم يرَ المقام مناسباً للحديث التفصيلي فيها!.

وفي الصفحة الأخيرة (٣٠) يتحدث التقرير عما سمَّاه «المستجد المعلوم»، وذلك عن الانتخابات الأمريكية في خريف عام ٢٠٠٨م، ثم «المستجد المتوقع»، وهو مثل الموقف السياسي والقانوني والأخلاقي من جرائم الحرب، وكانت ذروتها الجرائم الإسرائيلية في غزة، وموضوع الطاقة النووية والحق في حيازتها للأغراض العلمية والمدنية، وما حدث - وما زال - من انشغال بالبرنامج النووي الإيراني، بيدَ أن المستجدَّ المفاجئ فيما ختمَ به التقرير هو «الأزمة المالية العالمية التي هزت

(١) سكان البلاد العربية اليوم ٣٦٠ مليوناً كما ورد في التقرير نفسه .. (الكاتب).

الاقتصادين الأمريكي والعالمي، وأحدثت أضراراً هي الأفدح في تاريخ الاقتصاد الرأسمالي الكوني منذ أزمة **١٩٢٩**م»، وبقية التفاصيل معروفة للقارئ المتابع.

المخطوط اليمني

في دار الكتب والوثائق المصرية[١]

(دُعي الكاتب إلى المؤتمر الدولي الذي عقدته دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة تحت شعار (١٤٠) عاماً من التنوير، ٢٧ - ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠م، وشارك فيه عدد كبير من العلماء والباحثين العرب والأجانب)..

اسمحوا لي أن أستهل ورقتي المتواضعة هذه بالشكر والتقدير أولاً لعميد دار الكتب والوثائق القومية الأخ الدكتور محمد صابر عرب رئيس مجلس الإدارة، والإخوة المعنيين والمساهمين معه في الاحتفاء بهذه الذكرى العلمية والتاريخية، وعلى الدعوة الكريمة للمشاركة معهم في إحياء ذكرى شكلت حدثاً هاماً، في مسار العلم والثقافة على مستوى الوطن العربي كله.

وسوف أقتصر في حديثي هذا على أمرين لهما علاقة، بشكل أو بآخر، بدار الكتب وعلاقتها، بل فضلها على المكتبة والمخطوط في اليمن.

---

(١) ورقة قدمت صباح يوم الإثنين ٢٩ / ١١ / ٢٠١٠م في المؤتمر الدولي (دار الكتب والوثائق القومية "١٤٠" عاماً من التنوير، المنعقد بالقاهرة، ٢٧ - ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠م).

وفي مدخل للحديث عن التراث العربي المخطوط والمحفوظ على رفوف مكتبات العالم، يذكر بأن أقرب التقديرات له بنحو مليون مخطوطة، لم يبلغ ما نشر منها عُشرها، وهي موزعة بين كبريات مكتبات تركيا وأوربا ومصر والمشرق والمغرب العربي، وكذا روسيا - الاتحاد السوفييتي (سابقاً) - ومُدن آسيا الوسطى، بالإضافة إلى مكتبات الهند وإيران وغيرهما[١].

التراث المخطوط في اليمن

لقي التراث المخطوط في اليمن اهتماماً مبكراً في الغرب، أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبُعيد ذلك في بعض الأقطار العربية الأكثر تقدماً، كمصر "بوجه خاص"، فظهرت بعض الكتب اليمنية المخطوطة مصورة أو محققة هنا وهناك، هذا ما سوف أتطرق إليه وأختم به البحث.

* * *

وإذا نحن تجاوزنا بعض التفاصيل المعروفة فيما هو محفوظ في المكتبات الرئيسية والرسمية؛ كدار المخطوطات بصنعاء القديمة التي تضم نحو ٤٠٠٠ مجلد، تشتمل على ١١٠٠٠ عنوان في مختلف الفنون

(١) يراجع: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مجموعة المخطوطات العربية في مكتبات العالم، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي (١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م)؛ فهارس المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات العربية)، من إعداد فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٥٤ - ١٩٧٠م؛ وللكاتب: **مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني (المكتبة البريطانية)**، ط٢، دار الفكر، ٢٠٠٦م؛ دراسة المستشرق: كراتشكوفسكي (١٨٨٣ - ١٩٥١م) عن: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القاهرة ١٩٦١م؛ وله في الموضوع: (مع المخطوطات العربية) وغير ذلك.

والمعارف، غير ما تم اقتناؤه في العقد الأخير، وذلك بضعة آلاف؛ ومثل هذا العدد في المكتبة الغربية في الجامع الكبير، وأقل منه في المكتبة الشرقية (٢٥٤٧)، أما مكتبة الأحقاف بتريم التي جُمع بها عدة مكتبات عائلية خاصة فقد ضمت نحو (٥٥٣٨) مجلداً، ويمكن إضافة أرقام أخرى لبعض المكتبات في المدن اليمنية **الأخرى** كعدن وزَبيد وصَعدة وذَمار وحجَّة وغيرها، ليكون المعروف منه وفق التقديرات والمسوحات الرسمية قريب ثلاثين ألف مخطوط ٣٠,٠٠٠، أما ما بيد الناس وما بقي في عدد من المكتبات الخاصة، فربما لا يزيد كثيراً على الرقم أو الكم نفسه من المخطوطات، وما يقال عن أعداد مبالغ في أرقامها، فليست إلا مبالغات ينقصها التمحيص والجهد الواسع للمسح الشامل[١].

أهمية المخطوط:

لقد كانت الأهمية - وما زالت - لبعض هذا التراث المخطوط والمحفوظ في اليمن، هي من وفرة ما حفظ من كتب الفرق الإسلامية التي وجدت مقراً لها، ومناخاً فكرياً مناسباً للتلاقح والانتشار؛ ككتب المعتزلة التي حُقق ونشر منها، على سبيل المثال، كتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥ هـ/ ١٠٢٥ م)، وكذا كتابه (شرح الأصول الخمسة)، وكتاب (المعتمد في الأصول) لأبي الحسن البصري (ت ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤ م)، وغيرها من أهم كتب الاعتزال النادرة، وكذلك كتب فقه الزيدية (المتقاربة مع الأصول الخمسة للمعتزلة في الاعتقاد)، وأصول كتب فقه الشافعية والإسماعيلية، بل وشيء من مخطوطات توراتية

(١) انظر: مقدمتنا لكتاب: مصادر التراث اليمني في المكتبة البريطانية (المتحف سابقاً)، ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦م؛ عبد السلام الوجيه؛ مصادر التراث اليمني في المكتبات الخاصة.

قديمة، إلى غير ذلك من كتب اللغة والأدب **والتاريخ** وفنون أخرى، إلا أن اللافت للنظر فعلاً افتقار المحفوظ في كل اليمن للكثير من الأصول المتعلقة بالتاريخ؛ ككتب العلامة لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني المُتَوفَّى بعد سنة (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، أو تاريخ مدينة صنعاء للرازي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، وكذلك كتب العلامة (نشوان بن سعيد الحميري) (ت ٥٧٣ هـ/ ١١٧٨م)، التي من أجلِّها كتابه المعجمي اللغوي الواسع (شمس العلوم)، والذي لم نجد عند تحقيقه أي نسخة في البلاد قريبة النقل (النسخ) من عصره، وكانت أهم نسخه المخطوطة هي تلك المحفوظة في مكتبة "الأسكوريال" بإسبانيا، والمنقولة عن الأم بمراجعة ابن نشوان نفسه سنة ٦٢٦ و ٦٢٧ هـ؛ أي بعد وفاة نشوان بنحو خمسين عاماً، ومعظم النسخ بما فيها الجزء الأول من النسخة المهمة المحفوظ بدار الكتب المصرية[١] والتي سيأتي الحديث عنها وعن غيرها بعد قليل، أقدم بكثير مما هو في اليمن وأكثر سلامة، وينطبق الأمر نفسه على تاريخ صنعاء للرازي، أما (إكليل الهمداني) المفقود منه ستة أجزاء، فالمحقَّق والمعروف منه أربعة؛ هي الأول والثاني والثامن والعاشر، وليس في اليمن أي نسخٍ مخطوطة منها يعتدُّ بها[٢].

* * *

إننا في اليمن لا ننسى لدار الكتب ولمعهد المخطوطات العربية، الدور العلمي والعملي الهام في نقل صور (مايكرو فيلم) لبعض المهم من التراث

(١) يوجد الجزء الأول في دار الكتب المصرية برقم ٣٠ لغة بخط ابن نشوان العالم علي بن نشوان بن سعيد نسخها سنة ٥٩٥ هـ، أما نسخة الأسكوريال فهي من نسخ عالم لغوي هو جمهور بن علي بن جمهور الهمداني (راجع مقدمتنا لشمس العلوم)، وصفحة ٥٩ من كتابنا (مصادر التراث..).

(٢) راجع كتابنا : مصادر التراث اليمني في المكتبة البريطانية، ط٢، ٢٠٠٦م، ٤١-٤٨.

العربي في اليمن، منذ مطلع خمسينيات القرن العشرين، ففي كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٥١م، أوفدت وزارة التربية والتعليم المصرية بعثة علمية لتصوير المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبات اليمنية الرسمية والشخصية، برئاسة المرحوم الدكتور خليل يحيى نامي الأستاذ السابق بجامعة القاهرة، وعضوية العلامة الراحل فؤاد سيد عمارة (ت ١٩٦٧ م) رئيس قسم إرشاد باحثي المخطوطات بدار الكتب المصرية في حينه، وقدم للتراث اليمني والعربي، بل الإسلامي، خدمات جليلة يعرفها المعنيون بذلك، و(الكاتب) واحد منهم ومن قبله شقيقه الأكبر العلامة والسياسي المرحوم القاضي محمد بن عبد الله العمري (ت ١٩٦٠م)، الذي ربطته بفؤاد سيد صداقة، وبالدار علاقات وتعاون علمي معروف كان منه دعوته لهذه البعثة الزائرة، بحكم مركزه الحكومي واهتماماته العلمية والتاريخية[١].

ولقد خرجت البعثة وبتوجيه العلامة الأستاذ فؤاد سيد وإرشاده رحمه الله تعالى بتصوير نحو ٥٥٠ كتاباً مخطوطاً يرجع أكثرها إلى القرون الثالث والرابع والخامس والسادس للهجرة، من كتب: علم الكلام والفقه وأصوله والحديث ومصطلحه، والأدب والتاريخ وعلوم اللغة، والتفسير، وبعض أهم كتب فرق المعتزلة والزيدية والإسماعيلية والشيعة، وأخرى في علوم السياسة والاجتماع والمنطق، "كما صورت أيضاً بعض النسخ المكررة من مخطوطات نادرة رأت البعثة تصويرها.."[٢].

ولعل من أهم ما عادت به البعثة تصويرها لكتب العلامة القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذَاني المعتزلي (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م)، التي من بينها سفره الهام (المغني في أبواب التوحيد والعدل) الذي يقع في عشرين

(١) الدكتور أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي بالقاهرة، ١٩٧٤ م، ٤١٩ - ٤٢١.

(٢) الدكتور أيمن فؤاد سيد، ص ٤٢٢ - ٤٢٦.

مجلداً[١]، والذي يتناول فقه مذهب المعتزلة وأصوله على يد أحد كبار شيوخها، وكذلك كتابه (المجموع المحيط بالتكليف) في ٤ مجلدات، ولم يكن معروفاً منه إلا المجلد الأول[٢]، وأيضاً (متشابه القرآن)[٣] الذي حققه الدكتور عدنان زرزور ونال به درجة الماجستير من جامعة القاهرة، ونشرته في جزأين دار التراث بالقاهرة عام ١٩٦٨م.

أما الكتاب الهام الآخر (المعتمد في أصول الفقه) لأبي الحسن محمد بن علي البصري المعتزلي (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، فقد قام بتحقيقه الدكاترة محمد حميد الله ومحمد بكر والأستاذ حسن حنفي اعتماداً على النسخة اليمنية النادرة، وقد نشره المعهد العلمي الفرنسي بدمشق في جزأين عام ١٩٦٤م.

بعثة الوثائق والمخطوطات المصرية (١٩٦٤ م):

وبعد ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢م، كان التعاون الثنائي بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة شاملاً في مختلف المجالات، غير العسكرية والدفاعية المعروفة، ومن ذلك حقل الثقافة والتربية والتعليم؛ ففي ٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٤م - العام الثاني للثورة اليمنية - صدر قرار رئيس الوزراء المصري رقم ٢٩٨٣ "بإيفاد بعثة علمية إلى اليمن لدراسة الوثائق والمخطوطات وتصوير الهام منها".

وكانت برئاسة محمد أحمد حسين وكيل وزارة الثقافة السابق،

---

(١) هذه هي النسخة الوحيدة التي عرفت، وينقص منها ستة أجزاء هي (١، ٢، ٣، ١٠، ١٨، ١٩)، وقد نشرت الأجزاء المعروفة الأخرى من الكتاب الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة.

(٢) الدكتور، أيمن فؤاد سيد، ٤٢٢ - ٤٢٦.

(٣) المرجع نفسه.

وعضوية المرحوم العلامة والخبير فؤاد سيد عمارة وآخرين، واستمرت مهمتها من يوم وصولها صنعاء يوم الجمعة ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤م، حتى مغادرتها إلى القاهرة في ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٤م[١].

لقد تعاونت البعثة مع المعنيين اليمنيين أمثال المرحومين القاضي حسين بن أحمد السياغي (ت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) (وزير الأوقاف)، والأستاذ زيد بن علي عنان (ت ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م) وغيرهما، وتم لها تصوير (٢٢٥ كتاباً) من مخطوطات مكتبة الجامع الكبير؛ من بينها مجموعة نادرة من كتب الباطنية ومصنفات المعتزلة والزيدية، وبعض كتب التاريخ والأدب، ومجموعة طيبة من تراث الدعوة الفاطمية في اليمن، وبلغ مقدار ما صورته البعثة من هذا التراث (٥٨) كتاباً، نشرت دار الكتب المصرية فهرساً بهذه المخطوطات عنوانه (قائمة بالمخطوطات العربية المصورة بالمايكرو فيلم من ج.ع. اليمنية، القاهرة، ١٩٦٧م)[٢].

* * *

وكما انتشرت كتب التراث العربي خارج مواطنها في مكتبات تركيا وأوربا وغيرها، فقد كان نصيب دار الكتب المصرية الكثير الطيب؛ سواء من كتب علماء مصر نفسها، وهم كثر، أو من بلاد الشام والعراق واليمن والحجاز، بل المغرب العربي والأندلس، وذلك عبر قرن ونصف تقريباً من الجهود والجمع الواعي بطرائق مختلفة؛ منها اقتناء أصول والتصوير بالمايكرو فيلم - كما تقدم عن اليمن - وعدد آخر من مكتبات العالم، من المؤمل الاطلاع على تجربتها المفيدة الطويلة والغنية في هذا الصدد،

(١) الدكتور أيمن فؤاد سيد، ص ٤٢٧ - ٤٢٩.
(٢) المرجع نفسه.

وبعد قرن وأقل من نصف قرن من الزمن منذ تأسيسها عام ١٨٧٠م، وربما يكون في سجلاتها قوائم طويلة بزائريها من الباحثين والمهتمين، ومنهم اليمنيون، وهم كثر، كان من أبرزهم في خمسينيات القرن العشرين من اليمنيين العالمان الراحلان السفيران القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي والسيد علي بن إسماعيل المؤيد، وقد نشرا بعضاً من مخطوطات التراث اليمني في الدار، كما استفاد كذلك المحققان القاضي محمد بن علي الأكوع (ت ١٩٩٣م) وشقيقه المعروف القاضي إسماعيل بن علي الأكوع (ت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، وغيرهم كثر.

غير أن جهداً وتحقيقاً يضاف إلى ذلك الدور المميز الذي قام به العلامة الراحل فؤاد سيد في دعم الدار بالمزيد من المخطوط اليمني والعربي بشكل عام؛ فقد قام بتحقيق (طبقات فقهاء اليمن، لابن سمرة الجعدي، المتوفى سنة ٥٨١هـ) ونشره، وقام بتحقيق (طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار الهمذاني)، وقد عاجلته المنية قبل أن يرى الكتاب القيم الذي اكتشف وحقق مخطوطته اليمنية الوحيدة، وصدر عن الدار التونسية للنشر باسم (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، تونس ١٩٧٢م، بعد أن أعدها وقدم لها ابنا المرحوم صديقنا العالم المؤرخ الدكتور أيمن وأحمد فؤاد السيد.

ولعلي أعود إلى فوائد تصوير تلك المخطوطات اليمنية الثمينة؛ ذلك أن شائعة من وقت إلى آخر كانت تشي باختفاء مخطوط في ظروف تغيير وزير أو مدير، ومن ذلك على سبيل المثال نسخة الجامع الكبير من (تاريخ مدينة صنعاء) للرازي، الذي قمت بتحقيقه ونشره عام ١٩٧٢م، واعتمدت في تحقيقه على عدة أصول أوربية ونسخة مكتبة الإسكندرية، ومصورة دار الكتب المصرية المأخوذة عن نسخة صنعاء المفقودة، وكما كان في الماضي متعذراً على كثير من الباحثين الوصول إلى اليمن، فقد

كانت دار الكتب بالقاهرة أقرب وأسهل للاطلاع أو النسخ، ليس من ذلك المصور من قبل بعثتي ١٩٥١ و ١٩٦٤م، المصريتين فحسب، بل وما في الدار من مخطوطات يمنية أخرى كثيرة.

ولكم كانت دهشتي وفائدتي بالغة عندما زُرت الدار في صيف عام ١٩٩٨م، باحثاً عن النُّسخ المخطوطة في الدار من السفر اللغوي الكبير (شمس العلوم)، للعلامة اليمني نشوان بن سعيد الحميري السابق ذكره، والذي كنا نعد إكمال تحقيقه ونشره بعد أن تم تصوير عدد من النسخ اليمنية والأوربية، ونسخة جامعة يل (YALE) الأمريكية، وكلها متأخرة النسخ بما فيها الأجزاء المتفرقة من نسخ دار الكتب، باستثناء الجزء الأول رقم (٣٠ لغة)، وهو بخط ابن المؤلف العالم علي بن نشوان الحميري نسخه سنة ٥٩٥ هـ، ولعل هذا من أقدم المخطوطات اليمنية فيما نعلمه. ويليه في القدم المجلد الثاني من نسخة مكتبة جامعة يل (YALE) الذي يرجع تاريخ نسخه إلى عام ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥ م، ويأتي بعيد ذلك نسخة مكتبة الأسكوريال الإسبانية التي تقع في قسمين؛ نسخ الأول عام ٦٢٦ هـ والثاني عام ٦٢٧ هـ، وهي بهذا أكمل نسخ (شمس العلوم) وأقدمها، وناسخها عالم يمني لغوي مشهور هو الأستاذ جمهور بن علي ابن جمهور بن زيد الهمداني، وهي منقولة عن نسخة المؤلف، وكان للابن الآخر العالم محمد بن نشوان صاحب (ضياء الحلوم) صلة وثيقة بهذه النسخة، وعلى علاقة وطيدة بالناسخ، وبذلك كانت الأصل المعتمد لتحقيق شمس العلوم مع الاستفادة من النسخ الأخرى[1]. وتجدر الإشارة

(١) راجع مقدمة تحقيقنا لكتاب (شمس العلوم)، والذي شارَكنا في إكمال تحقيقه كلٌّ من الأستاذ مطهر بن علي الإرياني والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله، وصدر في اثني عشر مجلداً عن دار الفكر، دمشق ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

هنا إلى أن نسخة من كتاب نشوان (ميزان الشعراء وتثبيت النظام)، محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية العتيدة هذه.

التراث المخطوط في الجزيرة العربية[١]

بداية؛ لا بدَّ أن يجرُّنا الحديث عن التراث المخطوط في الجزيرة العربية (الذي تكمن فيه هويتنا)، إلى جملةٍ من الحقائق المعروفة لديكم.

أولها: وحدةُ ثقافتنا العربية الإسلامية بمختلف شُعبها، منذ فجر الإسلام حتى بدايات العصر الحديث، بل حتى اليوم، وهو الأمر الذي يشترك فيه كلُّ ورثة التراث العربي الإسلامي العظيم؛ المخطوط والمطبوع منه، والموزَّع في خزائن المكتبات العربية والأوربية، ومنها بالتأكيد في الجزيرة العربية.

الحقيقة الثانية: أن التراث المخطوط والمحفوظ في جزيرتنا العربية (في اليمن وأقطار مجلس التعاون)، لا يُشكل من حيث الكم رقماً كبيراً مقارنة بالمخطوط والمحفوظ في مكتبات كتركيا، وغيرها من مكتبات العالم العربي والأوربي (والمقدر بأقل من مليون مخطوط)، لكن أهمية بعض هذا المخزون ربما هي الفرادة؛ إما في الموضوعات ككتب الفرق والأصول وعلوم اللغة، أو بعدم وجود نسخ أخرى في أماكن غير الجزيرة، وإن كان مثل هذا في واقع الأمر نجد له أمثلة متشابهة في أماكن متعددة.

أما الحقيقة الثالثة: فهي سبق الغرب علينا بمراحل بعيدة في الاحتفاء

(١) ورقة قدمت في الرياض ضمن برنامج ندوة الجامعات اليمنية في ضيافة الجامعات السعودية، ٥ - ٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠م.

والاهتمام بتراثنا المخطوط اقتناءً وحفظاً وفهرسةً، بل تحقيقاً، ونشراً ...، وهو سبقٌ كان وما زال بيِّناً في مختلف أوجه الحضارة والعلوم والثقافة؛ إنها الفجوة التاريخية التي تبعدنا قليلاً أو كثيراً عن اللحاق بالقرن الواحد والعشرين..

أما الحقيقة الرابعة: ولعل فيها بعض التفسير للسابقة - أعني حقيقة تخلفنا - فهي التذكير بأن ما أصاب تراثنا العربي من كوارث وخطوبٍ، قضت بالتلف وبالحرق أو التحريم أو الطمس على الكثير منه في مختلف مراحل تاريخنا العربي مغربه ومشرقه، أو ما بقي منه - على أهميته - ليس كل تاريخنا الثقافي والعلمي المكتوب، ومن يراجع فهرس ابن النديم (ت ٣٩٥ هـ/ ٩٩٥م) يجد أسماء الكثير من الضائع.

* * *

واسمحوا لي بهذا الصدد أن أقتبس مقدمة عالم المخطوطات المعروف الدكتور المحقق (صلاح الدين المنجد)، للجزء الثاني من كتاب "نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا" للدكتور "رمضان ششن"، الصادر في بيروت عام ١٩٨٠م. "في عام ١٩٧٥م أخرجت دار الكتاب الجديد الجزء الأول من هذا الكتاب الجيد، الذي أكمل ما في كتابي الأستاذين (بروكلمان، وسزكين) من نقص. وبينما كنا نستعد لإخراج أجزائه الباقية، نشبت الفتنة في بيروت، وعمَّت الفوضى، وانتشر الخراب، وكثرت السرقات، وقامت الحرائق. فأحرقت دار الكتاب الجديد والتهمت النيران ما كان فيها من مطبوعات ومخطوطات، وأصول كتب، كانت معدَّة للطبع، وكان مما احترق أصول هذا الكتاب.

فرَجَونا الدكتور ششن أن يتكرم بإعادة تأليف القِسْم الذي احترق، فانصرف إلى ذلك بهمة ونشاط. فكان حريق الأصول، وإعادة التأليف مما سبَّب تأخُّر صدور الكتاب".

"وها نحن نقدِّم الجزء الثاني، وسنتبعه قريباً بالجزء الثالث مع الفهارس العامة إن شاء الله". ذلك ما حلَّ ببيروت، وليس ببعيدٍ عنا - بعدُ - ما حلَّ بمتاحف بغداد ومكتباتها في الأمس القريب، ومن قبلها بمكتبات الكويت.

* * *

ولعل هذا الاهتمام المتزايد هنا وهناك في الوطن العربي للعناية بما لدينا، ومنذ عصر قريب، هو المدخل السليم والصحيح، وما كان ينبغي أن يتم منذ زمن طويل.

أما **الحقيقة الأخيرة**: فيما يجرُّه هذا الحديث، فهي الاعتراف بالتقدير والتبجيل لجهود مبكرة لبعض علماء المستشرقين، سواء في اكتشافهم أو تحقيقهم ومن ثم في نشرهم لأمَّهات من كتب التراث، أو توثيقهم للكثير منه؛ إذ ما زال كتاب العلامة "كارل بروكلمان" (ت سنة ١٩٤٨ م) وملحقاه في "تاريخ الأدب العربي"، على سبيل المثال، ومن بعده سفر العلامة الكبير الأستاذ الدكتور "فؤاد سزكين" "تاريخ التراث العربي"، الذي قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض - مشكورة - بطبع ترجمته الرائعة في عشرة مجلدات، في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، وكان فضلاً وتقديراً من حكومة المملكة الشقيقة في دعم نشاط العلامة (سزكين) في المركز الذي يديره في فرانكفورت، وما من شك بأن جهوداً كبيرة ومعروفة في مصر والعراق وبلاد الشام، وكذا منظمة "الأليكسو"، ومركز المخطوطات التابع لها منذ تأسيسه في القاهرة، وبعد انتقاله إلى الكويت قبل ربع قرن، كل ذلك وما تم ويتم من جهود في دول مجلس التعاون واليمن، قد أدخل تراثنا المخطوط في دائرة الضوء.

وبالعودة إلى الحديث عن التراث المخطوط في الجزيرة العربية، فليس

جديداً القول إن الحرمين الشريفين بالمملكة العربية السعودية كانا أهم مركزين في العالم الإسلامي للقاء علماء العرب والإسلام. وبمكة المكرمة والمدينة المنورة تتلمذ وتخرج، أو مكث مجاوراً، عدد لا يحصى من كبار الفقهاء، والعلماء، والمؤرخين والأدباء وغيرهم.

فمن بعض أولئك من كتب أو نسخ الكثير من التراث المخطوط الموجود بهما، أو المبثوث في مكتبات العالم اليوم، ومن يراجع كتب التراجم "للحافظ ابن حجر" و (الضوء اللامع) للمؤرخ "السخاوي"، و (البدر الطالع) للإمام "الشوكاني"، و (النور السافر) للعلامة "العيدروس"، على سبيل المثال، فسيجد الكثير من تأكيد هذا، وبالأمس القريب ذكرنا - كمثال - (سنوات تتلمذ لسان اليمن) للحسن بن أحمد الهمداني بمكة ومصادر علومه الغزيرة المستفادة بها؛ ونبه زميلنا الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله في ورقته عن (وحدة تراث الجزيرة) في اليوم الأول، لهذه اللقاءات العلمية الغنية والمفيدة بين الجامعات السعودية واليمنية، نبه وأشاد بدور علامة الجزيرة المغفور له الشيخ "حمد الجاسر" في مجال التراث، والمخطوط منه على وجه الخصوص، ولما كان معنا هنا من علماء المملكة واختصاصييها من سيتحدث عن هذا الموضوع "وأهل مكة أدرى بشعابها"، فسوف أقصر حديثي على اليمن بشكل خاص، وعن تجارب خاصة بي لعل من المفيد ذكرها لارتباطها بالموضوع.

لقي التراث المخطوط في اليمن اهتماماً مبكراً في الغرب أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبُعيد ذلك في بعض الأقطار العربية الأكثر تقدماً **كمصر والعراق وسورية**، فظهرت بعض الكتب محققة هنا وهناك.

* * *

وإذا نحن تجاوزنا بعض التفاصيل المعروفة فيما هو محفوظ في المكتبات الرئيسية والرسمية؛ كدار المخطوطات بصنعاء القديمة التي تضم نحو ٤٠٠٠ مجلد، تشتمل على ١١٠٠٠ عنوان في مختلف الفنون والمعارف غير ما تم اقتناؤه في العقد الأخير؛ وذلك بضعة آلاف، ومثل هذا العدد في المكتبة الغربية في الجامع الكبير، وأقل منه في المكتبة الشرقية (٢٥٤٧)، أما مكتبة الأحقاف بتريم التي جُمع بها عدة مكتبات عائلية خاصة فقد ضمت نحو (٥٥٣٨) مجلداً، ويمكن إضافة أرقام أخرى إلى بعض المكتبات في المدن اليمنية **الأخرى** كعدن وزبيد وصعدة وذمار وحجة وغيرها، ليكون المعروف منه وفق التقديرات والمسوحات الرسمية قريب ثلاثين ألف مخطوط ٣٠,٠٠٠. أما ما بيد الناس وما بقي في عدد من المكتبات الخاصة، فربما لا يزيد كثيراً على الرقم أو الكم نفسه من المخطوطات، وما يقال عن أعداد مبالغ في أرقامها، فليست إلا مبالغات ينقصها التمحيص والجهد الواسع للمسح الشامل.

أهمية المخطوط:

لقد كانت الأهمية - وما زالت - لبعض هذا التراث المخطوط والمحفوظ في اليمن، هي من وفرة ما حفظ من كتب الفرق الإسلامية التي وجدت مقراً **آمناً** لها، ومناخاً فكرياً مناسباً للتلاقح والانتشار؛ ككتب المعتزلة التي حُقق ونشر منها، على سبيل المثال، كتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار الهَمذاني (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م)، وكتاب (المعتمد في الأصول) لأبي الحسن البصري (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، وغيرهما من أهم كتب الاعتزال النادرة، وكذلك كتب فقه الزيدية (المتقاربة مع الأصول الخمسة للمعتزلة في الاعتقاد)، وأصول كتب فقه الشافعية والإسماعيلية، بل وشيء من مخطوطات توراتية قديمة، إلى غير ذلك من كتب اللغة والأدب **والتاريخ** وفنون أخرى، إلا أن اللافت للنظر فعلاً افتقار

المحفوظ في كل اليمن للكثير من الأصول المتعلقة بالتاريخ، ككتب العلامة (الهمداني) المُتَوفَّى بعد سنة (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، أو تاريخ مدينة صنعاء للرازي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨م)، وكذلك كتب العلامة (نشوان بن سعيد الحميري) (ت ٥٧٣ هـ/ ١١٧٨م)، التي من أجلِّها كتابه المعجمي اللغوي الواسع (شمس العلوم)، والذي لم نجد عند تحقيقه أي نسخة في البلاد قريبة النقل (النسخ) من عصره، وكانت أهم نسخه المخطوطة هي تلك المحفوظة في مكتبة "الأسكوريال" بإسبانيا؛ والمنقولة عن الأم بمراجعة ابن نشوان نفسه سنة ٦٢٦ و ٦٢٧ هـ؛ أي بعد وفاة نشوان بنحو خمسين عاماً، ومعظم النسخ بما فيها المصرية[1] أقدم بكثير مما هو في اليمن وأكثر سلامة، وينطبق الأمر نفسه على تاريخ الرازي، أما (إكليل الهمداني) المفقود منه ستة أجزاء، فالمحقَّق والمعروف منه أربعة؛ هي الأول والثاني والثامن والعاشر، وليس في اليمن أي نسخٍ مخطوطة منها يعتدُّ بها.

* * *

وخلاصة القول:

إن المخطوطات العربية المحفوظة حتى اليوم في خزائن المكتبات العربية والأجنبية، تشكل منجماً غنياً لا نظير له في الثقافات السابقة واللاحقة للثقافة العربية الإسلامية. وبالرغم من الكوارث والحروب التي أصابت المدن في مشرق الوطن العربي ومَغْربه، فأُتلف أو ضاع الكثير من ذلك المخزون العظيم، فما بقي منه يعدُّ بمئات الآلاف نعرف الكثير منه، وما من شك بأن اختراع المطبعة في القرن السادس عشر واهتمام

(١) يوجد الجزء الأول في دار الكتب المصرية برقم (٣٠) لغة بخط ابن نشوان العالم علي بن نشوان بن سعيد نسخها سنة ٥٩٥ هـ.

المستعربين أولاً، ومن جاء بعدهم من العرب، في تحقيق العديد من أمهات مصادر التراث العربي ونشرها كان المدخل الهام والصحيح في توجُّه المعنيين والمهتمين بالمخطوط العربي أينما وجد، بيد أن حديثنا مركز بشكل خاص على مخطوطات جزيرة العرب، ما وُجِد منها في مكتباتها حالياً وما هو متوافر من مخطوطاتها في مكتبات العالم. ودعوتنا إلى الحفاظ على هذا التراث الثمين قائمة ومستمرة.

حديث ذاكرة الفكر والتاريخ

(الحلقة الأولى)[1]

الدكتور حسين بن عبد الله العمري عضو مجلس الشورى، من أسرة علمية فقهية عريقة، احترفت السياسة واشتغلت في القضاء، ومنها خرج الكثيرون من أعلام اليمن.. من هذا الوسط جاء الدكتور حسين، ومع أنه من وقت مبكر عمل في الحقل السياسي والدبلوماسي، لكنه لم يستهوه بقدر ما استهواه الفكر والمعرفة والتاريخ، فكان المثقف السياسي وليس العكس، وهذا واضح في تركيزه على التحصيل العلمي الأكاديمي التاريخي، على النحو الذي نتبينه في رسالة الماجستير بعنوان (مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني)، ورسالة الدكتوراه (مئة عام من تاريخ اليمن المعاصر).. واللافت أن العام الذي حصل فيه على الماجستير هو ذات العام الذي تولى فيه حقيبة وزارة الخارجية عام ١٩٧٩م، في فترة حرجة كان يمر بها الوطن اليمني.. كما تقلد حقيبتي التربية والتعليم والزراعة، لكن هذا كله لم يشغله عن عمله الأكاديمي والبحثي محققاً عدداً من المؤلفات العلمية التراثية، إلى جانب مؤلفاته التاريخية وعشرات

(١) حوار أجرته صحيفة ٢٦ سبتمبر مع الكاتب في خمس حلقات عاد في أولها إلى بدايات النشأة والتعليم، ثم ناقش وردّ فيها محللاً ما يراه من آراء ووجهات نظر في المشاريع السياسية والتاريخية والتعليمية والاقتصادية العربية واليمنية (على وجه خاص...)، وذلك في أعدادها (١٥٣٢) حتى العدد (١٥٣٦) من الخميس ٢٦ / ٨ / ٢٠١٠ م حتى ٢٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠ م (١٤ شوال ١٤٣١هـ).

الدراسات والبحوث والمقالات المنشورة.. إضافة إلى تدريسه في جامعة صنعاء أستاذاً لمادة التاريخ الحديث والمعاصر منذ عام ١٩٨٣ م.. لذا عندما التقيناه لإجراء الحوار معه كنا ندرك أننا نحاور شخصية استثنائية، وكان لا بد أن يكون مسار الحوار يجمع بين الذاكرة والفكر والثقافة والخبرات الأكاديمية.. أما تناول القضايا السياسية فهي تأتي في سياق التناول الذي شمل مختلف هذه الجوانب ليأخذ جلسات معه.. فكانت لـ ٢٦ سبتمبر هذه الحلقات الحوارية[١].

* خلال السنوات الأولى لنشأتكم عشتم في وسط اجتماعي سياسي وفكري وثقافي، إلى أي مدى أثر ذلك في توجهاتكم واهتماماتكم المستقبلية في هذا المنحى؟

- أولاً أنا من مواليد صنعاء القديمة سنة ١٩٤٤ م، وفي ١٩٤٨ م استشهد والدي، فلم أعرفه، فعشت شبه يتيم في رعاية أشقائي الكبار، وكنت - كغيري من أترابي في ذلك الوقت - قد ذهبت في وقت مبكر إلى المعلامة، وكانت قريبة منا في جامع طلحة، وعند المرحوم الأستاذ عبد الله الحيمي، وكان عدد من أبناء الحارة يذهبون إلى هناك، وكنا ندرس على الألواح فلم يكن الكتاب ولا الأوراق تستخدم. وتدرجت فيما يتعلمه الأطفال؛ من بعض السور الأولية من القرآن الكريم، وبداية تعلم الأحرف والخط، وبعد أن صرت في الثامنة نقلت إلى مدرسة الإرشاد، وأمضيت فيها فترة التعليم الأولي تحت إشراف سيدنا غالب الحرازي رحمه الله، وكان حازماً، وشخصية معروفة في تلك الأيام. وأستاذاً كبيراً ومعلماً جديراً، وكان ذا شخصية قوية في مدرسة الزمر، وهي اليوم مدرسة ابن الأمير، وكان فيها عدد من الزملاء الذين انتقلنا معهم إلى

(١) حاوره الأستاذ أحمد الزبيري.

المدرسة المتوسطة بعد ذلك في عام ١٩٥٦ - ١٩٥٧م، حيث التحقت بالمدرسة المتوسطة وأمضيت فيها عامين أو ثلاثة أعوام، ثم سافرت في آخر ١٩٥٧ م مع بعثة إلى سورية، كان عمري ١٣ سنة في ذلك الحين، وهناك التحقت بآخر صف في المدرسة الابتدائية في دمشق بمدرسة التطبيقات.

وكان زار اليمن في ذلك العام ١٩٥٧م وفد كبير برئاسة المرحوم الأستاذ صلاح البيطار وزير خارجية سورية، ومعه رئيس أركان الجيش السوري المرحوم اللواء عفيف البزيري وآخرون، ومنهم أمين عام الرئاسة، الشخصيةُ القانونية المعروفة الدكتور عبد الله الخاني، الذي أصبح وزيراً لفترة طويلة في أيام الرئيس الأسد ثم في محكمة لاهاي الدولية، وما زالت علاقتي به إلى اليوم. وهناك في دمشق كنا نحو عشرين طالباً؛ بعضهم قضى نحبه وبعضهم ما زال حياً، ولكن لم يطل مقامنا في سورية، وكان من أهم الأحداث التي عشتها الوحدة العربية وقيام الجمهورية العربية المتحدة في آذار/ مارس عام ١٩٥٨ م، وكذلك مجيء الأمير البدر والوفد الكبير الذي كان معه، والتوقيع مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على اتفاقية اتحاد مجلس الدول العربية بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة. وفي آخر ذلك العام انتقلت إلى مصر والتحقت بالبعثة اليمنية التي كانت في بني سويف، وكان قد مضى على بعضها ثلاثة أعوام أو أربعة. وحين ذهبت هذه البعثة حاولت الالتحاق بها لكن منعني صغر سني، ثم جاءت فرصة الذهاب إلى سورية.

أما الحياة العامة في صنعاء في تلك الفترة من الطفولة فكانت هادئة راكدة إلى حد السكون، ولم يكن فيها ما يلفت الانتباه أو يشد إلى الحياة الجديدة بمعانيها الحديثة، لكن كان هناك نشاط في الأوساط الثقافية بين الشباب وفي المدرسة، وكان الاهتمام بما يدور في مصر، وكان الجميع

يسمع أحمد سعيد وصوت العرب، وعلى صغر سننا - أنا وأمثالي - فقد كنا نتأثر بكل ما نسمع، وينعكس على حياتنا.

وعندما كنا في المتوسطة كانت بعض الكتب المصرية تصل إلى أيدينا، وكان لدينا أساتذة من مصر وفلسطين، وحين كنا نقرأ في كتب القراءة - على سبيل المثال - كنا نعجب من أمور ليست موجودة عندنا؛ كالذهاب إلى حديقة الحيوان، أو الاطلاع على بعض الوسائل الحديثة التي ليست في اليمن، فكنا نندهش لما كان يدور في مصر ونتمنى أن نحاكيه وأن نقلده، وبالفعل كانت تلك الفترة - فترة أواخر الخمسينيات - هي التي أفرزت عدداً كبيراً من الزملاء من الشباب الذين التحقوا أوائل ١٩٥٨ و ١٩٥٩م بالكليات الجديدة التي فتحت (الكلية الحربية وكلية الشرطة وكلية الطيران)، لكنني في ذلك العام - كما أشرت - كنت قد غادرت اليمن إلى سورية.

بداية الشباب

* ذكرتم أن حالة ركود، إلى حد السكون، قد سادت في نهاية الأربعينيات وعقد الخمسينيات.. عندما تعودون بالذاكرة إلى تلك الفترة، أتجدون ترابط الحياة الثقافية والاجتماعية الراكدة وتأثرها بالواقع السياسي وأحداثه؟

- ما في ذلك من شك فبرغم السكون الذي أشرت إليه، كان تحت الرماد يشتعلُ توجُّهٌ ثقافي وسياسي، وكان قد برز بعض الشعراء أمثال الأستاذ البردوني الذي كان له قصائد في بعض المناسبات تشعل الهمم وتدعو إلى الحركة، ولا أقول إلى ثورة، وكان الشباب الأكبر منا سناً يتجمعون.. فكان في بداية الشباب الدكتور المقالح مثلاً والأستاذ عبد الله حمران وزملاؤه في الإذاعة.. كان هناك طليعة بعضهم عادوا من سجن

حجة أمثال الأستاذ أحمد المروني، وهو أديب وشاعر، وكان هناك الشاعر والأديب الكبير السيد عبد الرحمن الأمير، الذي كان منزله موئلاً وصالوناً أدبياً يذهب إليه الشباب المتطلع والأدباء، لكنني لم ألحق تلك الفترة فكنت أصغر من أن أذهب إلى مجلسه، لكن بعض أشقائي وإخواني كنت أسمعهم يتحدثون عن عبد الرحمن الأمير ودوره الأدبي، وكان يتلقى كثيراً من الصحف والمجلات الأدبية، وهو نفسه كان رئيساً لجريدة الإيمان التي أسسها المرحوم الأديب الشاعر الكبير القاضي عبد الكريم مطهر في سنة ١٩٢٦م؛ أي في أوائل حكم الإمام يحيى، وقد استمر مطهر رئيساً لها فاعلاً ومؤثراً، وناقلاً لكل ما يدور تقريباً في العالم العربي في تلك الجريدة، وهي الآن موجودة متكاملة في مركز الأرشيف، وعند كثير من الناس، أنا شخصياً أحتفظ بنسخة كاملة من أعدادها، وعندما توفي عُين الشاعر والأديب الأستاذ عبد الكريم الأمير رئيساً لها، وأعتقد أنها استمرت إلى سنة ١٩٥٨ م، وبعدها صدرت جريدة (النصر)، وكانت تصدر في تعز، ومع أنني كنت حينها صغيراً، لكنني كنت، باهتمام الأسرة والتوجه العلمي فيها، أطلع وأعرف ما يدور تقريباً.

بيئة علمية

* التحقتم في سن مبكرة في العمل الدبلوماسي سنة ١٩٦٤م .. إلى أي مدى ساعدتكم اهتماماتكم التعليمية والمعرفية في هذا الحقل؟

- هذه ذكرى حزينة؛ لأنه صادف أنني كنت في مصر في سنة ١٩٦٤م عندما تقدمت لامتحان الثانوية العامة مع زملائي في مدينة طنطا (مدرسة مصطفى صادق الرافعي الثانوية)، وكنت قبلها في بني سويف، وخرجت إلى اليمن لأصطحب زوجتي في زواج مبكر لأنه كان لديها منحة للدراسة في مصر، وللأسف في تلك الفترة كانت الأوضاع اليمنية - المصرية مضطربة ومليئة بالإشكاليات والأوهام والصراعات الغامضة، فأعدت من

القاهرة بعد أن أمضيت أكثر من أسبوع أو عشرة أيام محجوزاً في مطارها الدولي، فعدت وليس أمامي من خيار إلا العمل، فالتحقت بوزارة الخارجية في عام ١٩٦٤م، ولم أكمل دراستي الجامعية في دمشق إلا بعد أكثر من ثلاثة أعوام من حينها، فالتحقت بجامعة دمشق، وفيها تخرجت.

فوائد كثيرة

* وماذا اكتسبتم من عملكم الدبلوماسي في هذه الفترة؟

- عملي في الخارجية المبكر أكسبني فوائد كثيرة .. أكسبني الاطلاع على ما يدور في العالم، وعلى متابعة القضية اليمنية، والعلاقة اليمنية المصرية في الصحافة العربية والعالمية في ذلك الوقت.. كنت في الـ ١٨ من عمري لكنني كنت أشعر كأنني في عمر الأربعين! فقد زاد عمري بمتابعاتي وانخراطي - حقيقة - في العمل السياسي، واهتماماتي الفكرية والثقافية المبكرة.

التعامل بحساسية

* في هذه الفترة تحدثتم عن احتجازكم في مطار القاهرة.. أكان لهذا علاقة بالوضع الداخلي في اليمن، تحت تأثير بعض القوى في توجه القوات العربية الموجودة في اليمن بهذا الاتجاه؟.. ما هي خلفيات هذا الحدث؟

- الحقيقة أن بعض الإخوة المصريين في اليمن لم يكن المعنيون منهم على بعد نظر وعلى فهم للأوضاع الداخلية الحقيقية، وكانت ردة فعلهم ضد كل ما هو ناقد للأوضاع؛ سواء الأوضاع اليمنية ممثلة وقتها بحكومة الرئيس الراحل الكبير المشير عبد الله السلال، أو وجود عناصر بعثية أو حركية أو ماركسية شيوعية، وكان مجرد النقد أو الاعتراض البريء يفسر بأن صاحبه إما شيوعي أو بعثي أو حركي قومي عربي، فهو إذن عدو

مبين! انعكست العلاقة البعثية المصرية في ١٩٦٤م - وطبعاً بعد الانفصال السوري المؤسف (٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١م) - بشكل حاد على العلاقة اليمنية المصرية وقتها، حتى إن الاتهامات كانت موجهة إلى من ليس بعثياً مثل الرئيس الراحل القاضي عبد الرحمن الإرياني، والأستاذ نعمان والأستاذ محسن العيني أو عبد الله الكرشمي (البعثيان)، أو كل من كان في الحكومات المتتالية، وكان التعامل بحساسية ضمن هذا التوجه حتى من ليس لهم نشاط على الإطلاق، وأنا لم يكن لي أي نشاط أو انخراط حزبي على الإطلاق. بالمناسبة فإنني لم أكن وحيداً ممن حجز أو أعيد أو منع من السفر إلى القاهرة.. ففي ذلك العام كان هناك أكثر من ١٠٠ طالب، وأذكر عدداً من الإخوة الزملاء كنا معاً ممن منع سفرهم إلى اليمن وحجزوا في القاهرة لفترة طويلة، وبصعوبة خرج بعضهم إلى اليمن، وبعد أن أوقفوا في قناة السويس.

* كذلك في تلك الفترة طرد كثير من الطلاب باتهام بالشيوعية، ودبرت لهم منح إلى موسكو ودول شرق أوربا، وهذا لا يعني أن هناك من ليس لهم علاقة بالأحزاب؟!

- نعم ما من شك أن أناساً كان لهم انخراط في مثل هذه الأحزاب، وليس ذلك عيباً، لكن التعميم كان في غير محله، وقد سجن كثير من الإخوان، وبلغت القضية ذروتها في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٦م عندما عاد الرئيس الراحل المشير عبد الله السلال من القاهرة بحماية مصرية، وذهب إلى القاهرة الفريق حسن العمري رئيس الحكومة ومعه حكومته وقيادة الأركان وكبار ضباط الجيش، وتم حجزهم ثم سجنوا في السجن الحربي، ولم يخرجوا من السجن الحربي إلا بعد ١١ شهراً في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٧م بعد الهزيمة بـ ٤ أشهر، وقيل وقتها إن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لم يكن يعلم بشيء من ذلك؟!! في حين أن

الحقيقة أن الصحافة العربية والعالمية كانت تتحدث يومياً عن سجن حكومة كاملة برئيس وزرائها، وبأعضاء مجلس جمهوريتها، لم يعف إلا عن الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني؛ ربما لمكانته المميزة ولكبر سنه، والقاضي عبد السلام صبرة، أما الأربعون فكانوا من كبار الوزراء والضباط في السجن في ظروف صعبة ومحزنة، هذا هو سوء التصرف، قد لا تكون سياسة مقصودة لكن لك أن تتهمها بالغباء أو بسوء الفهم أو بما شابه ذلك.

رئيساً للبعثة

* أتعتقدون أن احتجازكم في مطار القاهرة يعود إلى خلفيتكم الأسرية؟ أم إلى دراستكم الثانوية في سورية؟

- لا .. ليس هذا ولا ذاك، فقد كنت نشيطاً بين زملائي، وكنت محاضراً في وقت مبكر، وصادف في انتخابات رئيس بعثة طنطا أنني صرت رئيساً للبعثة لزملائي أنا وآخرين، وكان يتردد علينا من وقت لآخر بعض الزملاء البعثيين أو الإخوان المسلمين أو ما شاكل ذلك، وكنت بالطبع أستقبلهم وأستضيفهم لدينا في البعثة. هذا لا شك كان مرصوداً عند جهاز المخابرات، الذين كانوا يظنون أنه لا يمكن لأحد أن يكون رئيس البعثة إلا وهو حزبي خطير أو مهم، وهذا لم يكن واقع الحال، ولذلك كانت تقاريرهم في هذا الاتجاه السيئ.

تاريخ صنعاء

* هل ثمة تأثير لتوقيفكم للتحقيق التاريخي للكتابات الفكرية التاريخية، أم هي الدراسة في دمشق كما قلتم في كلمتكم في حفل التكريم عام ٢٠٠٥ م من دار الفكر؟

-لقد فتحت عيني في بيتنا بصنعاء القديمة وأمامي إكليل الهمداني

محققاً، وكان أخي القاضي محمد عبد الله العمري له يد في ذلك، وكذلك بعض كتابات نشوان بن سعيد التي كان قد طبعها المرحوم السيد علي بن إسماعيل المؤيد، والمرحوم القاضي العلامة إسماعيل الجرافي، وأنا في تلك السن صغير، فكان يشد انتباهي إلى التراث اليمني، وأسمع عن التحقيق، وما شاكله. وما حدث في دمشق هو بلورة علمية للتوجه الأولي المبكر في اهتمامي بالتراث وبالتاريخ اليمنيين، فكان أول أعمالي - ونشرته في عام ١٩٧٠م - هو (تاريخ مدينة صنعاء) للرازي، بعد أن جمعت مخطوطاته من المكتبات العالمية، وأهمها الإسكندرية والامبروزيانا في إيطاليا ونسخ باريس وحيدر آباد (الهند) وغيرها. ولعلها مناسبة أن أذكر أن نسخة صنعاء لكتاب الرازي (تاريخ صنعاء) كانت موجودة وكنت أسمع عنها، وكان للعلامة القاضي محمد الحجري منقولات منها، لكن عندما أرسلت إلى إخواني في صنعاء للبحث عن هذا الكتاب، كان قد سرق من مكتبة الجامع الكبير (كتاب تاريخ صنعاء)، فاعتمدت على أكثر من ثماني مخطوطات عالمية لتاريخ صنعاء، وهي من أجود المخطوطات، وكلها قديمة نسبياً لكنها ليست قريبة من تاريخ الأصل.

نظرة تقدير

*إذا رجعنا إلى ما بعد أحداث ١٩٤٨م.. كيف عشتم الفترة التالية فترة الصبا والوعي.. وكيف تعاطيتم مع الواقع السياسي آنذاك؟

-كنت أحظى بعطف كبير في الحقيقة، ولم أكن أدرك أن سر هذا العطف هو استشهاد والدي إلا بعد أن كبرت قليلاً. وكانت شخصية والدي المؤثرة والمعروفة في أوساط الناس، تجعل نظرتهم إلى الأسرة بشكل عام نظرة تقدير وتبجيل بمختلف الأوساط؛ سواء الوطنية أو التي كنا من قبل نسميها ثورية، أو الناس البسطاء؛ فأينما ذهبت كنت أحظى بنظرة محبة وتقدير، وكانت هذه تجعلني في بعض الأحيان أشعر بنوع من

الحزن الدفين الذي لم أتبين كنهه في البداية، وهذه العاطفة التي كانت في كل مكان؛ في الحي وفي المدرسة، وفي الكتاب أولاً في المعلامة أو في المدرسة المتوسطة، فأساتذتي المرحومون؛ الأستاذ عبد الله الذماري، مدير المدرسة، والأستاذ الكبير محمد اليريمي، والأستاذ الكراز، وكل أولئك كان لهم صلة وعلاقة بأسرتي؛ سواء من الناحية الوظيفية أم من الناحية الأدبية، فكنت أجد رعاية خاصة، كانت تدفعني، بعد أن ازداد وعيي بعض الزيادة، إلى الاهتمام بالدروس، والعمل على إظهار هذه الموهبة، وكنت شبه منعزل في بعض الأوقات، فلم أكن أخالط كثيراً من أترابي في ألعابهم في البداية، ولكن بعد مضي ثلاث سنوات أو أربع سنوات من هذا الحدث نسيت، أو تناسيت، وأصبحت نشيطاً مع الزملاء والأتراب في الأنشطة الأولية؛ فكنا نلعب في الحارة لعبة الكرة أو القاحش أو ما شابه ذلك من ألعاب، أو في المدرسة المتوسطة التمارين الرياضية ونحوها، وكما ذكرت فقد كان يدرسنا أساتذة مصريون وفلسطينيون؛ فأستاذ اللغة الإنجليزية اسمه الأستاذ محمد سكتشة أستاذ فلسطيني، وكانوا يعلموننا - غير الإنجليزية والعلوم الأخرى - الرياضة، وأبدع كثير من الإخوان. وكنا نذهب إلى ساحة المدرسة الثانوية التي هي الآن خلف وزارة التربية سابقاً التي في شارع جمال مدرسة الإصلاح ومدرسة أخرى بجوارها شرقي المتحف، حيث الآن هيئة مكافحة الفساد، وكان هناك ساحة كبيرة كان يتردد عليها بعض المثقفين الكبار والناشطين، وممن أتذكر الأستاذ أحمد جابر رحمه الله، والأستاذ أحمد المروني، والشاعر الكبير الأستاذ إبراهيم الحضراني، والعميد عبد الله الضبي وآخرون، وهؤلاء كانوا لا يتناولون القات، وكانوا يلعبون كرة المضرب (التنس)، وتعلمنا بعض الألعاب مثل كرة السلة وكرة الطائرة. وكان زملاؤنا الأكبر في المدرسة الثانوية أكثر نشاطاً أو تقدماً، أما نحن الأصغر سناً؛ أنا وبعض زملائي كالأخ اللواء حسين المسوري واللواء

حمود بيدر، وكان أكبر منا قليلاً، وغيرهما ممن كان في المدرسة المتوسطة، فكنا نذهب إلى هناك بعد العصر؛ لممارسة الألعاب الرياضية، ولنسمع - أحياناً - ما يشبه المحاضرات من هؤلاء الرجال الكبار، علماً أن التوجه الوطني كان واضحاً في محاضراتهم.

حاضرة ثقافية

* لكونك مؤرخ صنعاء المدينة هل تعتقد أنها تأثرت بثقافة من يأتون إليها مثل الأتراك، أو الذين يأتون مع الأتراك من الشام أو من العراق؟

- أولاً: صنعاء هي حاضرة ثقافية قديمة جداً كما تعلمون، هي مدينة من قبل الإسلام، وجاء إليها كثير من العلماء والحكام في ظل الدولة الأموية والعباسية، وأيضاً فيما بعد الأيوبيون، وما يزال بستان السلطان الذي اختطه توران شاه أخو صلاح الدين وكان يمر منه الغيل، وكان في صنعاء أكثر من غيل. فكانت الحياة الأدبية مزدهرة وكذا الشعر الحميني والغناء الفني الصنعاني منذ زمن، ثم بمجيء الأتراك حدث تحول نحو الأكثر حداثة، سواء في المأكل أو الملبس أو المشرب، وتأثرت البلاد - بلا شك - بالوجود العثماني (التركي على وجه الخصوص)، وانتقل إلى صنعاء كثير من أوجه ما كان يدور في بلاد الشام وفي إستانبول؛ لأن عدداً ممن نسميهم بالعثمانيين أو الأتراك هم عرب من فلسطين ومن سورية، ومن هؤلاء من دخل إلى اليمن فيما بعد، فنقلت كثير من العادات والأزياء والملابس والطعام حتى بعض الأسماء في صنعاء مثل الطلمة في الخضار، وبعض الحلويات منقولة أو متأثرة بالإخوة الأتراك، أو الإخوة العرب العثمانيين الذين كانوا في صفوف الأتراك، وقد تبين أن الأتراك من البداية استحسنوا أن يكون بعض الضباط وكبار الضباط من العرب، أمثال حسن تحسين باشا الفقير، وعدد من الولاة في اليمن، وهؤلاء كانوا ينظرون بعاطفة ويدفعون مثلاً إلى إنشاء بعض المدارس، مثل المدرسة

الصناعية، المدرسة الحربية أو ما شابه ذلك، فكان التأثير العثماني أو التركي، واضحاً في صنعاء، وعند اليمنيين عموماً، ووجدت طبقة استغلت أشياء كثيرة من الأنظمة والعادات التركية، واستمرت هذه إلى قيام الثورة وبقي بعض آثارها على الأقل في الطعام والملبس إلى اليوم. كالشرشف والحلويات.

أنواع الخبز

* حتى السلتة يقول بعض الناس إنها أخذت من الجيش التركي؟

- لا أظن ذلك. الحلبة موجودة في التاريخ اليمني وهي قديمة جداً، وكذلك أنواع الخبز، وصنعاء تميزت بأنواع متعددة من الخبز الذي لا يوجد في الأرياف. وذكر علامة اليمن الكبير لسان اليمن الهمداني في أيامه، في القرن الرابع الهجري، أنه كان يوجد في صنعاء نحو **٢٣** نوعاً من أنواع الخبز، ويشرح كل نوع، ويتحدث عن أهميّة بعضه، وكيف يحفظ بعضه لأيام، وكيف يطحن بعضه وبعضه كيف يؤكل، وكيف يسلت. وأعتقد أن الحلبة طبق يمني شعبي أثير وقديم.

العمل الدبلوماسي

* لو تطرقنا إلى دراستكم ما بعد الجامعة، وهي دراسات الماجستير والدكتوراه، إلى أي مدى أفادت هذه الدراسة، وخاصة في أوربا، في عملكم الدبلوماسي؟

- العمل الدبلوماسي - وهذا ما أحب في الحقيقة أن أقوله - إن لم يرتبط بالبحث والدراسة وإجادة اللغات الأجنبية؛ فهو يبقى عملاً وظيفياً روتينياً. وللأسف إن السلك الدبلوماسي اليمني - باستثناء حالات معدودة- ربما للظروف الماضية، لم يحسّن نفسه بشكل علمي ودراسي، القليل جداً ربما بأصابع اليد الواحدة من الإخوة الذين اشتغلوا في الفترة الماضية، وبعضهم ما زال في وزارة الخارجية، هم ممن قدم دراسة ماجستير أو

دبلوم، أو حاول أن يجيد إحدى اللغات، أما دراستي الجامعية فقد كانت في دمشق، ودمشق في الخمسينيات والستينيات كانت مركزاً علمياً وثقافياً كبيراً، ومن ثم كان مجتمع الجامعة مجتمعاً حياً وأكاديمياً، وليس كبعض المؤسسات الجامعية فيما بعد، ومن ثم كان الأساتذة يدفعوننا إلى البحث والعمل والدراسة؛ فقد درست في قسم التاريخ، لكنني كنت أتردد على قسم الفلسفة للقراءة والتحقيق ولكتابة الأبحاث، وهذا النمط من التعليم هو الصحيح، إن اعتمد التلميذ أو الطالب على جهده وعلى كتابته بتوجيه من أستاذه، وأما عن الرحلة الثانية؛ وهي الماجستير والدكتوراه، فقد كنت قد أصبحت وكيلاً لوزارة الخارجية من عام ١٩٧٥م، حتى أواخر سنة ١٩٧٧م فقررت أن أكمل دراستي، فقدمت استقالتي وذهبت إلى جامعة كمبردج، وبقيت حتى عام ١٩٧٩م لدراسة الماجستير، وجامعة كمبردج إحدى أقدم جامعات أوربا، ولها اهتمامات كبيرة بالتاريخ والأدب وبالفلسفة العربية، فبالإضافة إلى دراستي الجامعية بها فقد كنت مهتماً بإمضاء ساعات طويلة في مكتبتها التي تحتوي على أكثر من ٣ ملايين كتاب، وكانت المخطوطات في القسم العربي لا حدود لعددها. لقد كانت تلك الفترة فترة تأسيس مهمة علمية وثقافية، ووجدت فيها من الكتب عن اليمن على سبيل المثال ما لم يكن متوافراً في اليمن نفسه، فكل ما كان يطبع في العالم بأي بلد، بما فيها اليمن، كان يحضر نسخة منه إلى جامعة كمبردج، لذلك فقد كانت استفادتي شاملة وليست متعلقة فقط بدراسة التاريخ اليمني، الذي تبلور فيما بعد بالدكتوراه في تاريخ اليمن الحديث في القرنين الـ ١٨ - ١٩. بالإضافة إلى أنني كنت في سن واعية وليست سن تلميذ صغير، فكنت أتابع أشياء كنت أبحث عنها في اليمن ولا أجدها، ووفقت في الاطلاع عليها وفي تطوير مخزوني الثقافي، فكان لي الاتجاه الذي توجهته فيما بعد في كتابة التاريخ وتحقيق التاريخ، وما تيسر من تاريخ يمني أو عربي أو إسلامي.

حديث ذاكرة الفكر والتاريخ

(الحلقة الثانية)[١]

* معروف عنكم الشغف بالتاريخ.. تحققون كتبه ومستغرقون في البحث والدراسة فيه.. أليس لكم اهتمامات أخرى أدبية شعرية أو فكرية فلسفية؟

- لست مهتماً كثيراً بأي جانب آخر كالجانب الشعري أو الجانب الفلسفي الذي ذكرته؛ فأنا لست فيلسوفاً أو متخصصاً في الفلسفة، وإن كنت قارئ فلسفة، فكتابة التاريخ، والتاريخ اليمني على وجه الخصوص هي التي جذبتني وكانت سبباً في استغراقي في التحقيق والكتابة فيما ألفت من كتب، وما زلت في هذا الطريق.. مكتبتنا اليمنية فقيرة جداً في هذا المجال، ومعظم تراثنا التاريخي ما زال مخطوطاً مع أن لدينا عدداً من الباحثين الذين كان بعضهم تحت إشرافي وإشراف الدكتور سيد مصطفى وجهناهم لتحقيق مخطوطات تاريخية، وبالفعل تم تحقيق عدد من مخطوطات التاريخ، بشكل خاص للعلامة المؤرخ الكبير يحيى بن حسين حول تاريخ اليمن في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، وأيضاً للمؤرخ الجرموزي، وقد نال أحد الطلاب الماجستير والدكتوراه تحت إشرافي في تاريخ الجرموزي الذي هو في سيرة الإمام المتوكل إسماعيل وفي سيرة أخيه الإمام المؤيد، وكذلك سيرة الحبشة التي تتحدث

(١) الخميس ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠م، الموافق ٢٣ رمضان ١٤٣١هـ، العدد ١٥٣٢.

عن بعثة المتوكل على الله إسماعيل إلى الحبشة برئاسة العلامة والمؤرخ الجرموزي، وهذه السيرة (سيرة الحبشة) تعد في العالم - وليس في اليمن فحسب - من الدراسات والرحلات المهمة.. فقد ترجمت إلى الألمانية والإنجليزية، وحققها عدد كبير من المختصين في مصر وألمانيا وبريطانيا، كما حققها تلميذي الدكتور عبد الحكيم الهجري، فاهتمامي منصب على التاريخ لأنني درست التاريخ، ولأن هذا جل اهتمامي، كما أننا في حاجة إلى معرفة تاريخنا محققاً ومدروساً.

* ألا يقف وراء هذا الاهتمام شعور بضرورة أن يكون هناك رسالة في التعاطي مع التاريخ، وإعادة الكتابة حوله برؤية مغايرة؟

- الواقع ليس نابعاً من هذا الشعور لحقيقة أن المكتبة فارغة من تاريخنا، ولا يزال المجال واسعاً جداً لكتابة التاريخ، ولا أقول لإعادة كتابة التاريخ؛ لأن هذه المقولة عجيبة، إننا نكتب التاريخ كما كان وكما هو وليس كما نحب أو نهوى، ومن ثم فقد اهتممت فيما كتبت؛ سواء فيما يتعلق بتاريخ اليمن أو تاريخ اليمن الحديث المعاصر أو غير ذلك من الكتابات، أن أضع صورة جميلة لما جرى في القرون الأربعة أو الخمسة الماضية، ليس بمنظار اليوم، وليس بما نحب أن يكون؛ فالتاريخ يكتب كما حدث، وهو مرتبط بظروف أهل زمانه.. ومرة ثانية أقول ما زالت المكتبة اليمنية في حاجة إلى الدراسات العلمية الجادة والموضوعية، لا المتخيلة، أو حسب الأهواء، أو الإيديولوجية (في لغة اليوم)، فهنالك بعض الكتابات التاريخية ينبغي ألا تكون كذلك، وقد اطلعت مؤخراً على كتابين أو ثلاثة لزميل لنا في الجامعة، أحد الإخوة الدكاترة يؤرخ للإمام الشوكاني كما لو كان وهابياً، وسمى كتابه (وهابية الشوكاني)، وهذا خطأ قاتل، الإمام الشوكاني عالم مجتهد كبير على مستوى العالم العربي والإسلامي كله، وهو ليس له هوى لا مع الوهابية ولا الزيدية ولا

الشافعية، فهو عالم جليل كبير وإن كان زيدياً بالطبع، فمثل هذه الكتابات تشويه - للأسف - للتاريخ اليمني، وله كتابان آخران في نفس الهوى والتوجه، فقد قال فيما كتبه في أحد مجلداته الكبيرة إن شيخ الإسلام الشوكاني كان زعيم الحركة القحطانية ضد الهاشميين؟ هذا كلام فارغ ولا يجب أن يكتب، ولا يجوز أن يتحدث مثله بمثل هذا الكلام؛ الإمام الشوكاني قبل مئتي عام تقريباً كان رئيس القضاء وشيخ الإسلام، ولم يكن في المجتمع اليمني في ذلك اليوم أي شيء متعلق بهذه النعرات، لا قحطانية ولا هاشمية، بل ولا زيدية ولا شافعية، فلهذا - مرة ثانية - لا بد من إعادة النظر فيما يكتب وفيما كتب، والتحقيق لإخراج المخطوطات اليمنية التاريخية كما هي وكما وضعها مؤرخوها هي مهمة كبيرة، وأنا مهتم بها وما زلت في هذا الطريق.

* يلاحظ اهتمامكم بفترة تاريخية تتركز على القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. أيرجع ذلك إلى ثراء هذه الفترة؟

-نعم، ففترة القرن الحادي عشر والثاني عشر هي القرن الثامن عشر والتاسع عشر، على سبيل المثال؛ لأنني مهتم بفكر الإمام الشوكاني وحسن الجلال وابن الأمير ونتاجهم، وهذه الطليعة الرائعة من المجتهدين، فالإمام الشوكاني توفي سنة ١٢٥٠هـ، يعني منتصف القرن الثالث عشر، وهذا يوافق ١٨٣٥م، فالقرنان الثامن عشر والتاسع عشر هما القرنان الحادي عشر والثاني عشر وجزء من الثالث عشر.

* في هذه الفترة كان هناك فقهاء وقضاة لهم إبداعات أدبية وشعرية رائعة لا تتكرر.. كالشاعر القاضي عبد الرحمن الأنسي.. إلامَ يمكن إرجاع ذلك؟

- أنت ذكرت الشاعر والأديب القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأنسي،

وهو زميل وصديق للشوكاني وتوفي في السنة التاسعة من نفس الفترة الزمنية، وديوانه (ترجيع الأطيار) الذي حققه ونشره العلامة الكبير الرئيس الأسبق القاضي عبد الرحمن الإرياني، مع زميله القاضي عبد الله عبد الإله الأغبري، هو ذروة الشعر الحميني الصنعاني.. تميزت الفترة التي عاش فيها بأنها فترة ازدهار أدبي وعلمي، وهي آخر مرحلة من مراحل الازدهار في القرنين السابقين عليه بل وثلاثة قرون، فنحن نؤرخ للازدهار الثقافي والعلمي في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر بدءاً من الحسن الجلال العلامة الكبير صاحب كتاب (ضوء النهار)، وجاء بعده الشوكاني فعمل (السيل الجرار)، وكلاهما مجتهد يُحشي ويعلق على كتاب (متن الأزهار) للإمام أحمد بن يحيى المرتضى، الذي هو مؤسس ثانٍ ومجتهد كبير في المذهب الزيدي، وعلى (متن الأزهار) الذي كتبه كمنشور سياسي في سجن القلعة بصنعاء، التي أمضى فيها سبع سنين كان كما أشبهه بالـ(مانفستو) لكارل ماركس.. فهو ثورة ودعوة إلى الاجتهاد، ثم وضع عليه (البحر الزخار) وأخته أيضاً وضعت شرحاً آخر، للأسف أنه غير موجود وهو في أربعة مجلدات.

* أوَكان له أخت عالمة؟

- نعم أخته دهماء كانت عالمة كبيرة كتبت كثيراً، ومن أهم كتبها (شرح كتاب الأخيار) في أربعة مجلدات، وجاء بعدهم الحسن الجلال ووضع (ضوء النهار)، وهو ليس مجرد حاشية بل هو اجتهاد انتقادي على ما ذهب إليه صاحب (الأزهار)، وجاء من بعده محمد بن إسماعيل الأمير العلامة والشاعر الكبير، فوضع حاشيته على (ضوء النهار)، وأخيراً مجيء الإمام الشوكاني بكتابه العظيم (السيل الجرار) الذي كان فيه، بشكل أو بآخر، حاداً في بعض عباراته، ولكنه يظهر علماً غزيراً لا حدود له، بنهاية الإمام الشوكاني نعتبر أن صفحة عظيمة في تاريخ الآداب والعلم والفقه

انطوت، وجاءت مرحلة هي مرحلة أواخر القرن التاسع عشر والوجود العثماني طبعاً إلى الحرب العالمية الأولى.

* إلى ماذا يمكن إرجاع عدم تأثر الإمام الشوكاني بالشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ أو ربما يكون التلاقي في الأفكار هو نتاج للمرحلة التاريخية الواحدة التي وجدا فيها؟

- الشيخ المرحوم محمد بن عبد الوهاب كان رجلاً بسيطاً وعلمه محدود، وقد كان في البصرة وتلقى بعض المسائل الفقهية التي شرحها الشوكاني، وقال إنها لا ترقى إلى علوم الاجتهاد، وبالتأكيد قام بدور هام في منطقة نجد، وامتدت دعوته فيما بعد عن طريق آل الشيخ وآل سعود إلى الحجاز.. الأفكار الفقهية للشيخ ابن عبد الوهاب لا تقارن باجتهادات علماء اليمن، وغزارة علم الجلال وابن الأمير والإمام الشوكاني.. الإمام الشوكاني كان عالماً على مستوى الأمة الإسلامية كلها، وكتاباته طبعت في الهند من وقت مبكر ودرست في الأزهر الشريف، كما أنه بالمناسبة يوجد مذهب في آسيا الوسطى اسمه (الشويكاني) نسبة إلى الإمام الشوكاني، وقد تجاوزت مؤلفاته ١٣٠ مؤلفاً؛ بعضها عدة مجلدات؛ سواء في التفسير كفتح القدير أو في أصول الفقه (إرشاد الفحول)، أو ما شاكل ذلك، لا يقارن الشيخ محمد بن عبد الوهاب به، وإن كان لا يغمط دوره لأنه جاء والناس في نجد وفي الصحراء وفي الحياة البدوية التي كانوا يعيشونها، يعبدون الأشجار والأحجار، ولهذا كانت ثورته ضد القبور، وهنا أيضاً تتفق الزيدية معه في عدم عبادة القبور، ولكن القبور هي بشكلها العادي والبسيط.

* أيضاً كان محمد بن عبد الوهاب ضد التصوف؟

- الحقيقة التصوف جزء من التاريخ الإسلامي، وهو ليس بدعة بالشكل الذي هوجم به التصوف.. وللإمام الشوكاني بالمناسبة كتاب نال

به الأستاذ الدكتور المصري هلال إبراهيم هلال درجة الماجستير أو الدكتوراه عن (ولاية الله)، وهي الولاية عند الصوفية، وسماها: (الولاية والطريق إليها)، معتمداً على حديث قدسي عن طريق أبي ذر حول الولي، وقد شرح الشوكاني وجهات النظر المتعددة والمختلفة حول مفهوم الولاية بمنطلق علمي وتاريخي، ولا يعني هذا أنه كان متصوفاً؛ فعالم مثل الشوكاني أو ابن الأمير أو الجلال أو حتى المرتضى، هؤلاء من القمم التي يعتد بها في الإثراء العربي الإسلامي، لقد تلقحت، كما تعرفون، الزيدية بأفكار المعتزلة، وللإمام أحمد بن يحيى المرتضى صاحب (الأزهار) كتابات مهمة جداً عن المعتزلة، وله كتاب اسمه (طبقات الاعتزال)، وهذا مشهور جداً في العالم العربي والإسلامي، وقد طبع قبل أكثر من ٧٠ - ٨٠ سنة أو أكثر في القرن الماضي، فلا سبيل إلى المقارنة وإن كان لكل مجتهد نصيب.

* لكن هناك من يأخذ على الإمام الشوكاني استمراره لفترة طويلة على رأس القضاء، معتبرين أن اجتهاداته الفقهية كانت في مصلحة الأئمة الذين كانوا يحكمون اليمن في ذلك الوقت؟

- لا شك أن الإمام الشوكاني كان رئيس قضاء ثلاثة من الأئمة، وإن كان مركزه العلمي والفقهي يردع أية تصرفات لهؤلاء الأئمة الثلاثة، بل بلغ الأمر ما لم يبلغ عند أي عالم أو فقيه في العالم العربي، فقد قام بعزل الإمام المنصور، ويقترح أو يأمر بأن يكون ابنه المتوكل أحمد خلفاً له؛ لأن المنصور حكم أكثر من ٣٠ عاماً ووصل إلى سن الخرف، وكان فوق الثمانين من عمره، فأفتى الإمام الشوكاني وهو رئيس القضاء بعزله، فكيف نسمي الإمام الشوكاني بأنه تابع؟ الأئمة كانوا تابعين له.

* لكنه ألغى واحداً من أهم مبادئ الزيدية؛ وأعني مبدأ الخروج على الإمام الظالم.. كيف تفسرون ذلك؟

- نعم، الحقيقة أن الإمام الشوكاني ذكر في آخر كتابه (السيل الجرار) بأن الجهاد ومذهب الخروج إن هي إلا دعاوى للأئمة أو الملوك يستغلون بها (هكذا) الناس البسطاء والسذج، بل إنه أفتى بعدم الجهاد في الإسلام، ؛لأن الجهاد المقصود به رد العدوان على استئصال قطر إسلامي مثل فلسطين اليوم، أما جهاد غير ذلك فليس إلا فوضى واضطراباً، وهذا كلام صحيح، إذن بعض الأفكار التي ذكرها زميلنا الأخ الدكتور المسعودي هي تتجه في الهدم وليس البناء، وفيها سوء الفهم وعدم التمييز بين المذاهب، لدرجة أنه يظن أن الإمام الشوكاني كان مهتماً بابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم ت ٧٣٨هـ/ ١٣٢٨م) الحفيد، وهو لا يعرف بأن ما عمله الإمام الشوكاني في (نيل الأوطار) هو عن ابن تيمية (عبد السلام بن عبد الله ت ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) الجد، وليس ابن تيمية الذي اتبعه فيما بعد أو شاعت أفكاره عن طريق بعض الحركات الإسلامية المتأخرة. وقد نبهته إلى هذا فتقبل ذلك وفهمه مشكوراً.

* من خلال تعمقكم في التاريخ الإسلامي بجانبه الفقهي والسياسي.. ألا ترون أن التعصب والتطرف أسهمت فيه بعض اجتهادات بعض المؤلفات التي تعود إلى مراحل سابقة؟

- أنت إذا رجعت إلى تحقيقات العلماء العرب المصريين والسوريين والعراقيين في مطلع النهضة، من أيام الإمام الشيخ محمد عبده إلى الخمسينيات والستينيات، تجد أنهم ركزوا في تحقيقاتهم على أمهات الكتب في الأصول وفي الفقه، وكذلك في مجال التاريخ والآداب، ومع ذلك فوجئنا بموجة التطرف، وهي طفرة في ظني تمر بها الأمة كل مئة سنة، يركبها متعصبون هم أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم ويظنون أنهم يحسنون صنعاً، وهؤلاء هم الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٨/ ١٠٣-١٠٤]، فبحثوا عن الغثاء

وبحثوا عما هو خلافي بين المسلمين، واستخرجوا كتب الظلام ونشروا بعضها تحت علة أنه من التراث.. ليس كل التراث يخدم الأمة.. وليس كل التراث بديعاً مبدعاً وجميلاً، فهنالك الكثير من التراث ينبغي أن يعاد النظر في مدى أهميته وفائدته ومسايرته للإسلام الصحيح وللعصر الحديث، فمن هنا نشأ التطرف على أيدي مجموعة من الجهلاء الذين لم يقرؤوا أمهات الكتب، ولم يطلعوا على المذاهب المختلفة وسعة صدور العلماء واهتمام بعضهم بآراء بعض، لقد ضاقت صدور هؤلاء فنقبوا في الكتب السوداء، ولا تجد عندهم علماً بالمعنى الذي يفهمه عقلاء المسلمين، فالتطرف هو ظاهرة في كل وقت وفي كل الشعوب، ليست جديدة ولكن مآلها ومصيرها إلى الزوال؛ لأنها ضد تيار الطبيعة، ضد الفكر، ضد مسيرة الإنسانية التي تسعى أن تكون إلى الأحسن وإلى الأعظم وإلى ما هو جميل في الحياة، وإلى بناء الإنسان للحضارة، هذه هي الفكرة، وقد مر باليمن فترات تشبه ما هو حادث الآن من تطرف وكانت تنتهي.

الإمام الشوكاني وابن الأمير واجها شيئاً من هذا القبيل بالمناسبة، وانتهت هذه الفقاعات لأنه لا جذور لها لا في الإسلام ولا في التاريخ ولا في الوطن.

* النهضة العربية التي تحدثتم عنها في نهاية القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين كان يفترض أن تتواصل، وهذا لم يحصل، وحصل العكس، وعاد التطرف والتكفير والإرهاب.. ألا يطرح هذا تساؤلات حولها؟

- هذه نكسة، ما في ذلك شك، ونستخدم تعبير نكسة كما قيل في هزيمة ١٩٦٧م، كان اتساع الفكر في أواخر القرن التاسع عشر بداية النهضة العربية، نسميها العربية لأنها شارك فيها إخوان مسيحيون من أبناء

مصر، وبلاد الشام فكانت منفتحة كل الانفتاح، ثم كانت تواجه بشكل أو بآخر الوجود الاستعماري، كان الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني ممن اهتموا بفكرة التعليم على سبيل المثال، وكان الخلاف بين الإمام الشيخ محمد عبده مع صديقه الأستاذ جمال الدين الأفغاني أن هذا الأخير كان يؤمن بالثورة، وكان يؤمن بالتغيير الثوري، شيء يشبه ما يمكن أن تسميه التطرف في زماننا، فاختلف معه بعد أن كانا يصدران (العروة الوثقى) والتي لم يصدر منها إلا ١٨ عدداً في باريس، وكان محمد عبده قد تبلور لديه، من إقامته القصيرة في أوربا، أن التعليم والتجديد هما سبيل التغيير للأمة العربية والإسلامية لا الثورة، فاختلف مع جمال الدين الأفغاني لدرجة أنه قال لمحمد عبده في باريس: «اذهب عني فإنك مثبط!»، وعاد محمد عبده إلى مصر، وكان له فضل في تأسيس الجامعة المصرية التي أصبحت حقيقة بعد موته في سنة ١٩٠٦م، وقد توفي - رحمه الله - في ١٩٠٤م، وغير وجدد في مناهج الأزهر الشريف، وكان له تلاميذ واصلوا المسيرة، بمن فيهم الشيخ محمد رشيد رضا، وإن كان محمد رشيد رضا أضيق أفقاً وأقل أهمية من شيخه، ولعله من تحت جبته، وهذا ما ذكرته في كتابي (المنار واليمن)، ثم خرج الشيخ حسن البنا، وحركة الإخوان المسلمين في مصر فكانت تضيق كثيراً بما هو تقدمي وبما هو اجتهادي، ومع ذلك كانت أفضل ممن جاء بعدها، حتى وصلنا إلى ما نحن عليه في العقدين أو الثلاثة السابقة، بظهور ما سمي بـ (التكفير والهجرة) وبما سمي (الجماعات الإسلامية) ثم بابن لادن، وهذه الكارثة المحيطة بالأمة العربية والإسلامية شوهت الإسلام، وأصبحنا كما لو كنا «فسطاطين كفار ومؤمنين» كما قال بن لادن، وهذا غير صحيح، لقد تعايش الإسلام ١٤٠٠ سنة، من قبل ظهور هؤلاء، مع إخوانهم المسيحيين ومع اليهود، وكان هنالك سلام بين كل الأديان بما فيها في القدس الشريف، وما دخول صلاح الدين القدس وخروجه منها،

واتفاقه وتوقيعه مع ريتشارد (قلب الأسد) القائد الصليبي الملك الإنجليزي وقتها، إلا دليل التسامح العظيم ومن مركز قوة، فهي كما قلت ردة وعتمة لا بد أن تنتهي.

* جمال الدين الأفغاني شخصية جهادية إسلامية، أثارت جدلاً وما زالت، ولكن هذا لا ينفي أنه شخصية فذة، أرادت أن تكون دولة الخلافة الإسلامية قوية ومواكبة للمتغيرات، وعصرية حديثة قادرة على مواجهات الاستعمار الأوربي للأمة.. فلماذا يبدو للكثيرين غامضاً؟

- لا أكتمك بأن هنالك غموضاً حول شخصية الداعية والمجتهد جمال الدين الأفغاني، بل هنالك خلاف هل هو إيراني أم أفغاني أم غير ذلك، ولا شك أنه كل ما ذكرته وكان يريد إعادة الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية، بل إنه ذهب إلى عاصمتها القسطنطينية أو إستانبول وفيها مات. فكرة الدعوة التي كان يدعو إليها لم تكن مقبولة من الجميع؛ لأنه جاء أيضاً في فترة كان الاستعمار البريطاني في مصر وكان الصراع على تركة الرجل المريض وهو الإمبراطورية العثمانية، وعلى ما اصطلح عليه في فترة الاستبداد الحميدي، فكان العرب على الأقل لا ينظرون إلى الجامعة الإسلامية أو الخلافة بأنها الحل الأمثل لتخلصهم من الاستعمار، وأيضاً إقامة خلافة عربية أو دولة عربية ليس فيها طرف آخر، جمال الدين الأفغاني كان متحمساً على هذا الأساس لإقامة الرابطة الإسلامية، أما الشيخ محمد عبده - كما قلت - فكانت نظراته في التعليم كان يرى بأن الأمة الجاهلة لا تستطيع أن تتقدم.

* قد يكون طه حسين امتداداً له في هذا الجانب؟

- تماماً كطه حسين وعبد الرازق وغيرهما من العلماء الذين تكلموا في هذا الموضوع؛ فعلي عبد الرازق وضع كتاباً عن الخلافة، ونفى أنها جزء

من الإسلام أو أنها واجبة أو أنها تشريع نبوي، وقد أثار كتابه الضجة الكبرى في مصر، وقد كان شيخاً للأزهر وعالماً جليلاً، وما زالت آراؤه تجد من يتحدث عنها إلى اليوم. إذن الخلاف حول الخلافة الإسلامية التي كان جمال الدين مهتماً بها ولم تكن في العالم العربي بالشكل المطلوب، ومن ثم ظهرت كتب مثل (طبائع الاستبداد) لعبد الرحمن الكواكبي، وإذ نذكر الكواكبي نذكر إحدى التحقيقات التي وضعتها تلميذتنا الدكتورة أمة الملك الثور في (تاريخ اليمن)، تبين أن كتب الكواكبي كانت في اليمن، وبأن الإمام المنصور أبا الإمام يحيى وصلته نسخة من عبد الرحمن الكواكبي، والكتاب منشور للمحققة في هذا المجال. وكان التقدميون أو القادة العرب الذين كانوا يبحثون عن لم الشمل للأمة العربية، يتصورون في ذلك الحين أن الإمام يحيى كان يمكنه أن يكون خليفة، ولكن ثبت لهم أنه لا يمكن أن يكون؛ لمحدودية ذهنه وخبراته وعزلته، وقد تحقق هذا فيما بعد عندما أصبح ملكاً أو إماماً على اليمن بعد ١٩٠٤م، فكانوا يبحثون عن خليفة عربي - وهذه هي دعوة الكواكبي - بدلاً من الخليفة التركي، وكانت الجامعة الإسلامية نموذجاً لاهتمامات المفكرين والمجتهدين والعرب والمسلمين، لكن ثبتت أنها غير عملية، بل إننا اليوم نعاني محنة الوحدة العربية؛ فكلما تقدم بنا الزمن وجدنا الخلاف والشقاق يبعدنا كثيراً عنها.

* هل يمكن القول إن أفكار الكواكبي هي الأقرب إلى الأفغاني؟

- نعم، كلاهما كان مناضلاً، ولكن الفارق أن عبد الرحمن الكواكبي، في (طبائع الاستبداد) كان قد تبلورت لديه الخلافة العربية، وقد راسل زعماء الأمة في ذلك الحين، ومنهم الإمام المنصور والد الإمام يحيى، وأرسل له نسخة من كتابه الذي هو (أم القرى)، والذي تخيل فيه اجتماع قادة مسلمين في مكة المكرمة يتداولون ويتدبرون كيف

ينشئون دولة عربية إسلامية. أما جمال الدين الأفغاني فلم يتبلور لديه هذا الأمر، كان ضد الظلم، ضد الاستعمار ... إلخ، وليس له مؤلفات فيه، له كتاب عما أسماهم بالعدميين.. ولم يكن يجيد اللغة العربية، فكان يترجم له، أو بالأصح يكتب له الشيخ محمد عبده، كان يملي عليه أفكاره حتى في جريدتهم اليتيمة (العروة الوثقى) فكان يملي ومحمد عبده يعيد صياغتها، هذا ليس عيباً على كل حال فهو رجل عظيم بكل المعايير وله دور لا ينسى. وأذكر أنني عندما زرت إيران بعد الوحدة ببضع سنوات، كنت عضواً في مجلس الشورى، صادف أن مررت في أحد الشوارع وكان يسمى شارع (جمال الدين)، ليس الأفغاني، وإنما (جمال الدين) اسم فارسي.

* الشيرازي؟

- لا ليس الشيرازي، في حين كان حديث قديم لا يعترفون به قبل الحركة الإسلامية وآخرون من الكتاب ما كانوا يقولون بأنه إيراني أو فارسي بل أفغاني، هنا كان اللبس كما بدأت في حديثي.

* طبعاً اتهم كثيراً بالماسونية؟

- لا، هو ليس ماسونياً، ولكن لا شك أنه شارك في المجمع الماسوني، والماسونية ليست شيئاً خطيراً طبعاً، وهي ضد الديانات الموحدة، بما فيها الإسلام، إلا أنه كان يرى بأن هذا يجمع الإنسانية بمختلف دياناتها وأفكارها (فيها الأخوة الإنسانية)، وهي - فيما أظن - شكل من أشكال البهائية التي جاءت فيما بعد وظهرت في إيران، وكان من أبرز آخر رجالها أيام الشاه رئيس الوزراء الذي أعدمته الثورة إحسان بتهمة البهائية، والثورة الإسلامية أعدمت آلافاً مؤلفة من البهائيين، وهرب منهم الكثير، ومعظمهم الآن يعيشون في أوربا، وعندما أعدم السلطان

عبد الحميد بهاء الدين أو الرجل الثاني وهو الباب بعد أن نفاه إلى فلسطين وأعدم هناك، أصبح قبره اليوم مزاراً للبهائيين.

* ما مدى صحة وجود الماسونية في الوطن العربي؟ وما الأدوار التي قامت بها؟

- نعم، الذي أريد أن أقوله: إن اتهام الشيخ جمال الدين بأنه كان في المجمع الماسوني ليس مؤكداً، ومع ذلك فقد كان هناك احتفال كبير للماسونية، وقد قام في الإسكندرية كما في روما، انخرط فيه عدد من المصريين، وبهذه الوجهة، بهذه الفكرة (فكرة الإنسانية والتآخي) ... إلخ، وليس الخروج عن الإسلام أو إنكار الإسلام.

حديث ذاكرة الفكر والتاريخ

(الحلقة الثالثة)[١]

* العمل الأكاديمي احتل أولوية لديكم.. إلى ماذا يمكن إرجاع ذلك؟

- العمل الأكاديمي - كما تعلم - في بلادنا مازال يانعاً وشاباً، وتجاربنا الأكاديمية ترجع إلى عام ١٩٧٠م بتأسيس جامعتي صنعاء وعدن.. ولكن هناك عدد من الأساتذة الكبار اليمنيين الذين درسوا في الوطن العربي، أو تخرجوا في الجامعات الأوربية لديهم من الخلفيات الأكاديمية والعلمية، ما ساعد على الإسراع في تأسيس هاتين الجامعتين، وأن يكون هنالك قواعد واهتمامات أكاديمية. في بداية الأمر، اعتمدت جامعة صنعاء بالذات على عدد من الإخوة العرب والمصريين بوجه خاص، وأذكُر عند التحاقي بجامعة صنعاء، بعد عودتي من بريطانيا في عام ١٩٨٢م، أن معظم عمداء الكليات ورؤساء الأقسام كانوا من الأخوة المصريين، ومن ثم فقد نرى قلة التجارب وضعف العمل الأكاديمي.. والعمل الأكاديمي هو عمل دؤوب لا ينقطع، ويعتمد على أشياء كثيرة؛ أهمها المكتبة أو العمل.. لسوء الحظ - خاصة بعد عام ١٩٩١م - انقطعت مؤسساتنا الأكاديمية عن الاتصال بالعالم الخارجي ومراكز

(١) نشرت في الثوابت، أيلول / سبتمبر ٢٠١٠م، العدد ٦١. وكذلك صحيفة ٢٦ سبتمبر، الخميس ٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠م الموافق ٢١ رمضان ١٤٣١هـ، العدد ١٥٣٤.

البحوث، وتلقي النشرات وتقارير الحوليات والفصليات من النشرات العلمية الأكاديمية، بل إن جامعاتنا لم تنتظم باستثناء جامعة عدن، فمن حسن الحظ ما زالت مستمرة.. أمّا جامعة صنعاء فقد توقفت لبعض الوقت المجلات العلمية، وقد عادت مؤخراً في كلية الآداب وكلية العلوم. إن العمل الأكاديمي عمل يعتمد حقيقة في الأساس على الفرد نفسه، ومدى عمق تفكيره واهتماماته في مجاله وفي حقل اختصاصه.

البحث العلمي..

* الدراسات والبحث العلمي الجامعي هما الانعكاس الموضوعي لتقدم مستوى التأهيل الأكاديمي وتخلفه. من خلال تجربتكم.. كيف تقيمون هذا الجانب؟

- الباحث الأستاذ والأكاديمي - كما قلت - يحتاج إلى الوسائل والأدوات والمعمل والجوانب العلمية والمكتبة، واليوم دخل الإنترنت، وإن كان في ظني لا يخدم بالشكل الصحيح اهتمامات الباحثين؛ فالاعتماد على الكتاب والمراجع الأصيلة والموسوعات العلمية هو الأساس في البحث، وقد اطلعت مؤخراً على عدد من البحوث التي تعتمد على الإنترنت، سواء في مجال التاريخ أو السياسة أو ما شابه ذلك، ووجدتها مليئة بالأخطاء نتيجة النقل المباشر دونما تمحيص أو تفكير أو ما شابه ذلك.

لكننا حقيقةً في اليمن في طريق طويل، وتنقصنا الإمكانات المادية، فنحن بلد فقير، من ثم لابد من أن يكون هناك للتعليم الجامعي والأكاديمي اعتمادات كافية، كما أن التوجه إلى الجوانب الأدبية ينبغي أن يحد بترقية البحث العلمي فيها والتركيز على الجوانب الفنية والتكنولوجيا والعلوم الحديثة، نحن مفتقرون إلى هذا. كذلك ثمة محنة

التحاق الفتيات بالجامعة؛ فمن النادر أن تجد منهن من هن جديرات بالمواصلة في الجانب العلمي والأكاديمي، وهناك حواجز كثيرة مثل الحجاب الذي يجعل الفتاة بعيدة عن العلم ويهمها أن تحصل على الشهادة ومن ثم تتزوج.. ولهذا فالخسائر كبيرة تنفقها الجامعات في غير محلها.. وأنا أدعو في الحقيقة إلى أن تكون امتحانات الدخول في منتهى الدقة وفي منتهى الرقي؛ لرفع المستوى العلمي. وهناك فتيات لا بأس بهن في الواقع، ولكن أغلبهن باحثات عن شهادة، ولا يعرفن من الحياة الحديثة إلا البرقع.

قضية معقدة..

* ما دُمنا نتحدث عن وضع المرأة التعليمي.. ألا تلاحظون أن هناك تراجعاً كبيراً؛ كمياً ونوعياً، في الانخراط في التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة.. وكذلك في التحصيل وتجاوز حواجز التخلف؟.. أين يكمن الخلل؟

- ما من شك أن هذه قضية معقدة وليست بهذه السهولة؛ فالمجتمع والبيت والأسرة والمدرسة والتربية ومناهج التعليم، كلها تُعقِّد مستقبل الفتاة في بلادنا، لكن الفتاة نفسها أو المرأة لم تتجاوز بعد الحجاب الذي تغطي به وجهها، لابد لها من ثورة حقيقية، مصر قبل مئة سنة أفضل من اليوم، وهناك تراجع على كل حال في الوطن العربي كله، كما يمكن أن نسميه الردة إلى الماضي، أسبابها كثيرة "اجتماعية وسياسية ونفسية وانفجار سكاني"؛ انظر في الشارع، تجد مئات الفتيات بل الآلاف، إنه تفجر سكاني بلا ضابط، لابد له من ضوابط حقيقية.

الذي أريد أن أقوله بأن المرأة أو الفتاة ينبغي أن تتسابق مع شقيقها الرجل في المجال الأكاديمي، وتنفض عنها غبار الماضي؛ وذلك

بالاهتمام العلمي ودخول المعترك العلمي، ليس من أجل الشهادة أو من أجل العمل أو من أجل التفاخر العلمي. ما زلت أذكر عدداً كبيراً ممن أصحح أوراقهن لا يُجدن الكتابة، ولا يفرقن أحياناً - للأسف - بين المذكر والمؤنث، بين الفعل الماضي والمضارع، ومع ذلك يدخلن الجامعة "بقدرة قادر!". إن ما أدعو إليه هو الضوابط الحقيقية والانفتاح الحقيقي، هذه مسؤولية أولى للتربية والتعليم قبل الجامعة، التعليم الأساسي الذي هو الإعدادي والثانوي ينبغي أن يرتقي، بحيث تُهيَّأ فرص حقيقية لمن يحمل الشهادة الثانوية أن يلتحق بالجامعة أو يلتحق بالتدريب الفني. ثمة ما يسمى التعليم الفني، وإنني لأتمنى أن يكون نصفه على الأقل تدريباً فنياً وليس تعليماً فنياً، التعليم الفني تكنولوجي وتقني، ونحن في حاجة إلى العامل الفني المدرب؛ إذ إن لدينا بطالة تتجاوز ٤-٥ ملايين، قيل إنها تتجاوز ٣٥٪، فلو كانت هذه الأعداد الكبيرة أو نصفها مدرباً في مراكز تدريب راقية، وتحت إشراف عالٍ، لانخفضت النسبة على الأقل، ولكادت تنتهي مشكلة البطالة في بلدنا، وتتحسن أيضاً أمور بيوتنا ومصانعنا وأحوال أسر هؤلاء.

خيبات الآمال..

* من مطلع القرن الماضي وحتى سبعينياته كان هناك توجهات اجتماعية سياسية واقتصادية وثقافية مفعمة بروح التفاؤل والتطلعات، حملتها مشاريع وطنية وقومية عربية، ثم تراجعت رغم الإنجازات التقنية والتكنولوجية العالمية.. ما أسباب هذا التراجع؟

- أولها خيبة الآمال في المشاريع السياسية بعد هزيمة ١٩٦٧م، وربما اتفاقات (كامب ديفيد)، وإنهاء؛ أو التصور أن القضية الفلسطينية انتهت إلى طريق مسدود، ومازلنا نراوح حتى اليوم في هذه المشكلة، فالعودة إلى الله عمل سهل للأغلب من الناس في كل المجتمعات، على أساس

أن هذه العودة ستحقق الآمال وستفتح أبواب النجاح والانتصار والرزق، صحيح كلنا نعود إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن هذه العودة لابد أن تكون واعدة وأن يجتمع فيها: "ما لله لله وما لقيصر لقيصر"، ليس الحجاب دعوة إلى التقدم، ولا إلى الانتصار في فلسطين، بل لقد خرج من تحت جبة هذه الأشياء المتطرفون والقتلة باسم الإسلام العظيم، التكفير والهجرة وتكفير المسلم للمسلم، وهذه أيضاً سلسلة من خيبات الأمل ومن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة في الوطن العربي، هناك فساد كبير وخطط لم تنجح، وليس هناك تقويم، وليس هناك محاسبة، وهناك قفزات في كثير من الأقطار العربية إلى الغنى الفاحش من غير طرقه، هذه كلها خلقت ردود فعل عند الناس البسطاء في العودة إلى الدين، والمفترض أنهم أصلاً مسلمون وليسوا في حاجة إلى هذه العودة، ومن ثم كان التطرف، على أساس أنهم يذهبون إلى الجنة، فالرجاء في الله كبير أن نصلح النيات وأن نفتح العقول لأن تتجه الاتجاه الصحيح، وأن نستفيد من دروس الماضي، وأن يخرج من بين هذا العدد الكبير مجموعة ممن يصلح ويرشد ويعلم ويخترع، ألا ترى بأن الاختراع في وطننا العربي إن لم يكن لا وجود له فهو نادر؟ لا شك أننا في الوطن العربي نتكامل في التخلف وفي الجهالة وفي مسائل كثيرة متشابهة.

الجامعة الخاصة..

* من خلال تجربتكم في العمل الأكاديمي.. ما الصور التي تشكلت لديكم حول مختلف جوانب الفريق التدريسي الأكاديمي؟

- لا أحب أن أقول إن هناك عدداً، قد يكون قليلاً، ممن نالوا الشهادات والتحقوا بالجامعات وهم غير مؤهلين، أو بالأحرى ليسوا مهتمين وجادين في أعمالهم الأكاديمية الراقية، ولا يتابعون - بمجرد أن يلتحقوا بالجامعات كمن يلتحق بالمدرسة - ما يدور في العالم في

اختصاصاتهم، لكن هذا لا يمنع من وجود عدد آخر له هذه الاهتمامات والمتابعات، وهم في الحقيقة المبرزون اليوم في اختصاصاتهم في جامعتي صنعاء وعدن، وكذلك في تعز وإبّ وربما حضرموت.

هناك محنة جديدة وهي مهمة وخطيرة، وقد كتبت عنها (شيوع الجامعات الخاصة)، وهي أشبه بالأكشاك أو بالمدارس، قد لا يكون كلها كذلك، ومن حُسن الحظ أن أياً منها لم يحز بعد على الدرجة العلمية ولا الترخيص الرسمي من وزارة التعليم العالي، وقد أنذر المجلس الأعلى للجامعات ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي هذه الجامعات بأن تلتزم بالقواعد الأكاديمية وإلا فإنها ستقفل، وبالإضافة إلى أنها حتى الآن لا يعترف بشهادتها، فإنها الآن وصلت إلى نحو ثلاثين جامعة تحوي آلاف الطلاب، الذين ليس لهم من غاية سوى الحصول على قرطاس أو ورقة ليفتخروا أن لديهم شهادة جامعية، وينبغي ألا ينالوا هذه الشهادة لأنهم ليسوا مؤهلين، وأنا أدعو مرةً ثانية معالي الأخ الدكتور صالح باصرَّة، والمجلس الأعلى للجامعات برئاسة دولة الأخ رئيس الوزراء، بأن يسارعوا في إعادة النظر في هذه القضية الخطيرة والمهمة، المتعلقة بمستقبل الجيل ومستقبل اليمن في مجال العلم والعلوم ومجال الثقافة والتعليم، هذه نقطة مهمة لابد من إثارتها والوقوف عندها من الإخوة المعنيين والمسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي.

توحيد التعليم..

* عند تحملكم حقيبة وزارة التربية والتعليم وجدتم صعوبات وتحديات، فضلاً عما تتحمله هذه الوزارة من عبء كبير.. ما أبرز أصعب هذه التحديات وأكثرها تعقيداً؟

- لا شك بأن التعليم في بلادنا من أهم الجوانب في الدولة وأصعبها،

ووزارة التربية والتعليم تتحمل الآن مسؤولية ما يزيد على أربعة ملايين طالب.. وكان قد حدث في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات انشقاق في منهجية تعليم الجيل الجديد حتى على أدنى مستوى وهو الابتدائي، فوجد ما سمي بـ(المعاهد العلمية)، وهي بالتأكيد ليست علمية، وهذه تسمية مضللة إذ إنها كانت تهتم بالجوانب الدينية المبالغ فيها والمتطرفة، وكانت مهمتي مع كثير من المهتمين بهذا الجانب أن نعيد الأمر إلى نصابه، وصدر قرار جمهوري في وقته بتشكيل المجلس الأعلى للمناهج، وكنت رئيساً له، وشارك فيه الوزراء المعنيون، ومن غير الوزارة الأخ الأستاذ الأديب الدكتور عبد العزيز المقالح، والأستاذ الكبير المرحوم محمد اليريمي، ووزير العدل ووزير الإعلام وقتها الأستاذ حسن اللوزي، وعدد من التربويين أمثال الأستاذ الشهاري، والأستاذ محمد محسن الوادعي، وعدد كبير، والحمد لله توصلنا إلى أمور كثيرة في توحيد المناهج وإلغاء الازدواجية؛ لأن كل أبناء اليمن يهمهم أن يحصلوا القسط المناسب من مختلف العلوم بما فيها العلوم الدينية، ولكن (إثقال) ولا أريد أن أقول أكثر من هذا، إثقال الطفل بثلاثة أرباع القرآن الكريم على حساب العلوم والجوانب الأخرى، كان إجحافاً كبيراً، ولا شك أن حَسَني النية لا يعرفون مناهج التعليم، ولهذا ظنوا - ربما بحسن نية - بأن إيجاد هذا النوع من المعاهد يخدم الدين قبل أن يخدم العلم.. وتطورت الأمور بعد ذلك والحمد لله بعد الوحدة، وصدر (قانون التعليم العام)، وكنت من المشاركين فيه في مجلس النواب، وتم توحيد المدارس مع المعاهد، ووجدت ما تسمى بـ(المرحلة الأساسية) التي أدمجت فيها المرحلة الإعدادية مع الابتدائية ليصبح منهجاً واحداً، ولا أدري في الحقيقة ما مدى تطبيق القواعد والمناهج المتبعة، هذا جانب، الجانب الآخر كانت الكتب يعاد طباعتها في مختلف العلوم كما هي ويعتمد على المناقصات الأرخص، فكانت تطبع المناهج حتى عام ١٩٨٣م وإلى

مجيئي في ١٩٨٤م، إلى الوزارة بعللها، بأخطائها حتى في الكيمياء والفيزياء والرياضيات، وكنت قد اقتنعت بأن يكون المنهج العربي الذي اقترحته المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة منهجاً تنهجه اليمن وتكون الأولى في تطبيقه، ووجدت في ذلك معارضة سخيفة بالتأكيد، وكان العرض علينا وقتها أننا لا نتحمل شيئاً، وكان قد جند على مستوى الوطن العربي كله أهم الأكاديميين وأكبرهم في المناهج العلمية، في الرياضيات والكيمياء والفيزياء... إلخ، وكان الاتفاق مع وزراء التربية العرب، أن تكون المواد الاجتماعية مثل التربية الوطنية والتاريخ من اختصاص كل قطر، وكنا سنوفر بهذا أشياء كثيرة (مادية وعلمية) لأننا - وينبغي أن نعترف - غير مؤهلين تأهيلاً كافياً لمتابعة المناهج الحديثة في مختلف فروع المعرفة، وللأسف تركت الوزارة قبل أن يتم العمل بالمنهج العربي الموحد، ولكن بالتأكيد إن ما طبع في تلك السنوات الثلاث أو الأربع التي كنت مسؤولاً فيها من الكتب للمدارس كلها أعيد النظر فيه عن طريق متخصصين عرب في الكيمياء والفيزياء والرياضيات، فصححت أخطاء بجهالة وبحسن ظن وليست مقصودة بأن تكون مليئة بالأخطاء، فذلك ما عملته، وهو بسيط جداً، وساعدني فيه عدد كبير من التربويين والمعنيين، بل والإخوة في الحكومة في ذلك الوقت.

لا خلفية سياسية..

* من أي أرضية انطلقتم في سعيكم إلى إنهاء الازدواجية في العملية التعليمية.. أمن خلفية مهنية أم خلفية سياسية اتسمت بها تلك الفترة؟

- لي في الحقيقة حسن ظن كبير عند الإخوة في المعاهد العلمية وفي قياداتهم، وكانوا يعرفون، وبعضهم مازالوا أحياءً ومطلعين على حسن النية عند الجميع في التوجه الوطني والعلمي، ومن ثم لم يكن صراعاً سياسياً أو مماحكة حزبية، ولهذا فقد كان حسن النية موجوداً رغم بعض

المعاناة وبعض النشاز من بعض المتطرفين، أو أصحاب المصالح في هذا المجال.

الوحدة أزالت الازدواجية..

* أعني أن قيام هذه الازدواجية كان لها أسبابها السياسية.. توجه اشتراكي أو ماركسي في جنوب الوطن إبان الدولة الشطرية، وله امتداد في الشمال سياسي وعسكري، وكانت هناك مواجهات ومخاوف، ليست فقط داخلية بل إقليمية.. ألم تسهم هذه في قيام المعاهد العلمية ثم انتفت هذه الأسباب؟

- كما تفضلت، لا شك بأن وجود نظام صيغته ماركسية أو يسارية في الجنوب، ووجود مدارس ذات التوجه نفسه، كان دافعاً أو مقرراً بالتوجه نحو ما سمي بالمعاهد العلمية، قد يكون هذا مبرراً، وقد انتفى هذا في الحقيقة عندما قامت الوحدة، وبذلك كان من السهل على هذا التوحد توحيد قانون التعليم.

التطرف والإرهاب..

* هذا التوجه لم يقتصر على الدافع الداخلي، بل كان له طابع إقليمي وعربي ودولي.. مثل مواجهة التيارات القومية واليسارية لإسهام ذلك في الصراع الدولي أثناء الحرب الباردة.. ألا تعتبرون هذا كان عاملاً حاسماً في الارتداد أو التراجع السياسي والاقتصادي والثقافي والتطرف في مجتمعاتنا؟

- طبعاً؛ فقد ظهر الصراع في أفغانستان والوجود السوفييتي وتجنيد العرب واليمنيين للدفاع عما اعتبر أنه دفاع عن الإسلام في أفغانستان، وكان صراعاً في الحقيقة بين الاتحاد السوفييتي والغرب ولم تكن البيئة الإسلامية في أفغانستان قابلة لنظام مثل النظام الذي عرضه السوفييت

والنظام الشيوعي، وكان يفترض أنه بسقوط ذلك النظام تنتهي هذه المشكلة، ولكن ظهر ما هو أخطر، ظهرت طالبان، وظهرت مؤخراً القاعدة، وكان الظهور بزعامة بن لادن والذين ظنوا بأنهم سيغيرون العالم، ونسوا أو هم لا يعرفون أو متجاهلون أن الإسلام دين البشرية، وأنه يعطي الحق لليهود والمسيحيين أن يستمروا في دياناتهم؛ إذ لا إجبار ولا حرب لجعل الآخرين يدخلون في الإسلام بالقوة، فهذه الفكرة تطورت عند هؤلاء وانقلبت إلى إرهاب بلغ ذروته في ١١ أيلول/ سبتمبر، ولم يخدم الإسلام بالتأكيد، وكانت من نتائجه ما نعانيه اليوم، وفي اليمن على وجه الخصوص، وفي المملكة العربية السعودية التي كانت ترعى وتدفع أموالاً كبيرة، بل إنها أسست ٢٨ ألف مدرسة ومعهد في باكستان، وهذه المدارس هي التي أخرجت طالبان، وربما كان ذلك عن حسن النية باسم الإسلام مرة ثانية.

ولكن كما يقال إن الطريق إلى الجحيم قد يكون (مفروشاً بالنيات الحسنة)، أما الآن وقد اتضحت الأمور، وأصبح دافع كل مسلم وكل مؤمن أن يعود إلى جادة الصواب، وأن يخدم وطنه، وأن لا خلاف بين المسلمين في الأمور الأساسية، ومن ثم لا مجال للإرهاب، لا مجال للتطرف ونحنُ أضعف الشعوب وأكثرها تخلفاً وفقراً ومرضاً، فما أحوجنا أن نتجه نحو التعمير ونحو البناء ونحو التنمية الصحيحة، إذ ما زالت الأمراض تفتك بالملايين، وما زالت كثير من مدننا بلا مستشفيات، ومدارسنا لا توجد فيها كتب أو مكتبة، ومازالت طرقنا مكسرة، ومازال لدينا تبعات ثقيلة وكبيرة لابد أن يتعاون الجميع، وأن تقوم الحكومة بواجباتها وأعبائها، خاصة أنه ليس لدينا مصادر للدخل جديدة، والبترول الذي فرحنا به في منتصف الثمانينيات يكاد يجف، والغاز ليس أملاً كبيراً، فلابد من العمل على بناء الإنسان اليمني، الإنسان المتوازن،

الإنسان القادر، الإنسان العارف، الإنسان المتواضع أيضاً والعامل، ولابد من كبح جماح الانفجار السكاني، فهذا أمر هام يدفع لنا بمئات الآلاف شهرياً وسنوياً إلى الشارع بلا تعليم، بلا صحة، ومن ثم هذا مناخ طبيعي ومناخ خطير لظهور (ليس فقط التطرف) بل أشياء كثيرة؛ كالأمراض والفساد الخلقي وغير ذلك كثير.

حديث ذاكرة الفكر والتاريخ

(الحلقة الرابعة)[١]

* تحملتم مسؤولية العديد من الوزارات، لكن تبقى الخارجية الأكثر مسؤولية وإثارة .. ما الفرق على سبيل المثال بينها وبين وزارة التربية والتعليم؟

- أنا كما قلت بدأت حياتي في وزارة الخارجية في عام ١٩٦٤م، ولا شك بأن العمل في وزارة الخارجية يختلف اختلافاً كلياً عن العمل في وزارة التربية؛ سواء على مستوى القيادة أو مستوى الفريق الحكومي، عمل التربية عمل يومي ومرهق ومكدر، ولا بد من الارتقاء به ومتابعة خططه ... الخ، العمل الدبلوماسي هو جزء من العمل العام في الدولة إلا أنه أخف مؤنة ما في ذلك شك، وإن كان أكثر خطراً إذا ما وقعت الأخطاء في العلاقات الدولية أو العلاقات الخارجية، فلربما يقترف سفير أو موظف كبير خطأً ما يؤدي إلى تأزيم علاقة أو يؤدي إلى خلافات كبيرة، مع ذلك فإن هذه الأمور يمكن إصلاحها وتجاوزها.

التربية والتعليم عمل ضخم كبير يستحق كل جهد ويستحق أكبر ميزانية، وفيما أظن فإن ميزانية التربية والتعليم لا تتجاوز ٢٠ ٪، وليس لمجال البحث فيها ربع من جزء من واحد في المئة، وهي تستحق أن تلقى من الاهتمام ومن دعم مسؤوليها ومن التعاون مع الأشقاء العرب،

(١) بتاريخ ١٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠م الموافق لـ ٧ شوال ١٤٣١هـ، العدد ١٥٣٥.

لأننا - وينبغي أن نعترف - مازلنا متخلفين في كثير من الأمور المنهجية والاستراتيجية التعليمية والتربوية.

عمل الخارجية عمل آخر يخدم اليمن، ربما بهدوء ودون ضجيج، وربما لا يعرف الكثيرون مدى الجهد الذي يقوم به وزير الخارجية ومعاونوه، وكذلك جهاز الوزارة، ووزارة الخارجية اليوم بالمناسبة تعاني إشكالات كبيرة، تعاني قضايا مالية، تعاني بعض الإحباطات، تعاني بعض الجوانب التي لا أريد أن أدخل في تفاصيلها، ولكنها لا تشجع كثيراً.

حسن الاختيار:

* العمل الدبلوماسي يتطلب الاحتراف من حيث الكياسة وسعة الثقافة والمعرفة بالوضع الدولي.. من خلال تجربتكم ألا ترون أن هناك قصوراً من حيث التعيين والتأهيل والاختيار، خارج المعايير التي تتطلبها الأهمية والحيوية السياسية لهذا المجال؟

- معك حق.. هناك درجة من المحسوبية، وهناك درجة من عدم حسن الاختيار، وهناك درجة من اللامبالاة، مع ذلك هناك المعهد الدبلوماسي الذي يدرب الدبلوماسيين للخروج إلى الخارج برعاية وزير الخارجية، سواءً كان الآن الدكتور أبو بكر القربي أو غيره، لكن وزارة الخارجية هي جزء من الوزارات أو المؤسسات الحكومية الأخرى، ينطبق عليها كثير مما ينطبق على غيرها، ولهذا أنا معك أن هناك بعض الأخطاء، وبعض التعيينات الخاطئة، وبعض الحسابات التي لا ينبغي أن تكون، سواء في الترقية أو في التعيين.

فترة صعبة:

* اختيارك وزيراً للخارجية نهاية سبعينيات القرن الماضي جاء في فترة

بالغة التعقيد والخطورة؛ بسبب التحديات التي كان يواجهها الوطن اليمني.. أيمكن أن تضعونا أمام صورة عن أوضاع تلك الفترة وأحداثها؟

- الحقيقة أن اختياري وزيراً للخارجية كان في وقت صعب ومظلم يمنياً وعربياً، وهو في الحرب الخاسرة والمؤسفة بين الشمال والجنوب في عام ١٩٧٩م، وفي ذلك الحين كانت العلاقات الخارجية منقسمة بالنسبة إلى اليمن ومن اليمن، سواءً في الوطن العربي أو في العلاقات الدولية، فعلى مستوى الوطن العربي كان هناك - كما تعلم - شرخ كبير بذهاب المرحوم الرئيس السادات إلى (كامب ديفيد) وتوقيعه اتفاقية (كامب ديفيد)، وكانت اليمن مع أشقائها العرب في مقاطعة مصر، وكان لنا وقتها مواقف متعددة، وحدثت إرباكات في هذه المسألة؛ لأنه - على سبيل المثال - كان لدينا بضعة آلاف من الإخوة المدرسين المصريين، وكان قطع العلاقة مع مصر في مؤتمر بغداد يعني أن تسحب مصر نحو ٢٠ ألف مدرس وقتها، وبالرغم من استعداد الإخوة في سورية وفي العراق، بل حتى في تونس للمساهمة أو المساعدة في سد هذه الثغرة، لكنها لم تكن بالشكل المطلوب، وأتصور أن تدني التعليم، وكبر المشاكل في هذا المجال، كان بداية ١٩٧٩م، ولعل هذا ما أعطى المعاهد العلمية مجالاً آخر للاصطياد في هذا المجال، فقد كان لديهم من المال الخارجي المدعوم ما يساعد على جلب عدد كبير من المدرسين من بعض الأقطار العربية، وكانت السياسة الخارجية نتيجة هذه الظروف صعبة للغاية، ومن ثم لم يستمر عملي في وزارة الخارجية أكثر من ٥-٤ أشهر؛ لأنني كنت قد ارتبطت بجامعة (كمبردج) لأواصل الدراسات العليا، لذلك فقد تركت العمل أو استقلت من وزارة الخارجية في حينه وفي ظروف صعبة؛ إذ كانت العلاقات اليمنية الخارجية العربية والدولية بالتأكيد في وضع صعب، وكانت الحرب في حد ذاتها حرباً خاسرة بين الشمال والجنوب، وأدى مؤتمر الكويت إلى المدخل الأول والإعلاني الصريح، وقد

ساهمتُ فيه في أن يصدر في البيان (الوحدة اليمنية)، وكان الأخوة للأمانة في الجنوب في ذلك الحين هم أكثر حماسة للوحدة الاندماجية ولو في يوم واحد.

حرب خاسرة:

* في وقت عصيب كان يمر به الوطن اليمني، بسبب الأحداث العاصفة في الربع الأخير من سبعينات القرن الماضي، والحرب بين الشطرين، أسندت إليكم حقيبة وزارة الخارجية.. أيمكن توضيح صورة المجابهة على الصعيد السياسي والدبلوماسي؟

- عندما حدثت الحرب كنت وقتها في بريطانيا... في تشكيل حكومة في نيسان/ أبريل ١٩٧٩م، الحرب - كما قلت - كانت حرباً خاسرة، ومن ثم تدخل الأشقاء من سورية والعراق والأردن، وجاءت قوة لتفصل بين الطرفين، ولعل الدماء التي سالت - وإن كانت غير كثيرة - غسلت تبعات الماضي، وشعر اليمنيون شمالاً وجنوباً بأن لا حل إلا بالوحدة؛ سواء كانت تدريجية أو فيدرالية أو اندماجية، وكان مؤتمر الكويت بكل المعايير صادقاً في لقاءاته، وكانت أول تجربة لفخامة الرئيس علي عبد الله صالح في ذلك المؤتمر، وكان قد حضر من الجنوب المرحوم الأخ عبد الفتاح إسماعيل رئيساً للوفد الجنوبي، وعندما يلتقي اليمنيون ينسون في الحقيقة كل جراحاتهم، وكان الخروج بوثيقة الكويت، وكان للإخوة في الكويت، وسمو الأمير الراحل، وكذلك وزير الخارجية آنذاك سمو الشيخ صباح أمير دولة الكويت اليوم فضل كبير في تقريب وجهات النظر، ومن ثم كان الخروج من المؤتمر إنجازاً لتحريك لجان الوحدة بعد عقد من الزمن فيه أحداث دامية، ولا سيما أحداث ١٣ كانون الثاني/ يناير بعد أن جمدت نحو عقد من الزمن تبدى من خلاله للجميع - ولا سيما بعد الأحداث المؤلمة في ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦م - أنه لابد من

التحام اليمنيين وعودة الأسرة الواحدة في وطن واحد، فما حدث في ١٩٨٦م كان فاجعة مذهلة للعرب وللعالم، فكان الذبح بالهوية، وقتل ما يزيد على ١٥ ألف أخ ومواطن بلا مبرر وبلا سبب كبير، لاشك أنها جريمة كبرى جرت أذيالها إلى اليوم، ولعل ما يدور اليوم مما يُسمّى بـ (الحراك) في الجنوب هو من آثار تلك الدماء، وكأن الثارات تذكرنا بأقوال الشيعة أين ثارت الحسين ؟ (القاتل والمقتول في النار). كلهم إخوة وأشقاء فلماذا كل ذلك؟ ماذا نتج من الماركسية أو الإعصار سوى تلك المأساة؟ هذا درس ينبغي أن نتعلم منه دائماً وأبداً، وأن يكون نصب أعيننا. وقد اطلعت على كثير من المواقف في ذلك الحين؛ بعضها محزن وبعضها يجعل المرء يستغرب كيف لا تفكر العقول المدركة، أو التي تدعي أنها متقدمة في التفكير، في أن تلجأ إلى الدم وإلى القتل بين الرفقاء والإخوة، وفي عام ١٩٨٦م أنا كنت هنا وكنت وزيراً في الحكومة، واطلعت على كثير من مجريات الأحداث، وحملت رسائل من فخامة رئيس الجمهورية إلى فخامة الرئيس الراحل حافظ الأسد، وإلى الرئيس الراحل نائب رئيس الدولة في العراق صدام حسين وقتها، وإلى رؤساء وملوك دول الخليج وأمرائها، وكان ينتصب أمامي وأنا معهم سؤال واحد لا جواب عنه: لماذا حدث هذا؟ وكيف يحدث بين الأشقاء والإخوة؟ وكان الجواب صعباً والترجيح قاتلاً، ومن ثم كان ذلك الدرس درساً كبيراً، وجاءت الوحدة لتجب ما قبلها، وإن شاء الله ستقدم اليمن والبلاد في ظل تعاون من كل أبنائها ولعلنا نستفيد من دروس الماضي.

أرجوزة الإمام أحمد:

* عندما قامت الثورة اليمنية ٢٦ أيلول/ سبتمبر كان وعيكم السياسي قد تشكل.. إذا عدنا بذاكرتكم إلى تلك الفترة أكنتم تستقرئون في أحداثها اقتراب سقوط النظام الإمامي الاستبدادي وإحداث التغير المنشود؟

- عندما قامت الثورة في ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢م كنت بطبيعة الحال أواصل دراستي في مصر، وكنا في مدينة بني سويف، كنت فيما أظن في السنة الأولى ثانوي في مدرسة النيل الثانوية، لكن قبيل الثورة كانت هناك أحداث جسام، وانعكست على اليمن وعلى الظروف العربية بشكل عام، وأولها حدث الانفصال المشؤوم في ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١م، وقبيل ذلك بنحو عام أو أكثر كان الإمام أحمد قد عمل أرجوزة ينقد فيها الإجراءات أو القرارات الاشتراكية في مصر، والحقيقة أنها ليست إلا (القشة التي قصمت ظهر البعير)، فكان رد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هو إعلان فصل الاتحاد الفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة، كان ذلك طبعاً قبل الانفصال بنحو عام أو أكثر قليلاً، كانت اليمن قد مرت قبل ذلك بعامين بفترة صعبة، فقد كان الإمام نفسه قد تعرض لمحاولة اغتيال - كما تعرفون - في مستشفى الحديدة، وقد نجا منها بأعجوبة، وكان آلام الحدث وأوجاعه دفعت به إلى السفر إلى إيطاليا.. كانت اليمن تعيش إرهاصات أولية لحركة لم تكن موفقة في حينه، فقد جرت فوضى في تعز وصنعاء، ومنها إعدام عشوائي لرجلين فاضلين من آل الجبري؛ القاضي أحمد الجبري وأخيه، وتم سحبهما في شوارع تعز.. كما جرى في صنعاء حدث مؤلم بالهجوم على بيت أسرتنا، وأحرقت المكتبة العظيمة لجدي شيخ الإسلام الحسين بن علي العمري، ونهب البيت الذي في السايلة، كما جرت حوادث مختلفة في هذه الفترة، ولذلك كانت الأوضاع في اليمن أوضاعاً تستدعي القلق الشديد؛ لأنها لم تكن مرتبة ترتيباً ثورياً أو منتظماً، وكان هناك طموحات عند شخص عرف فيما بعد وهو الشيخ (حميد الأحمر) الأخ الأكبر للمرحوم الشيخ عبد الله الأحمر، وقد جرى إعدامه فيما بعد ووالده حسين الأحمر عندما عاد الإمام أحمد من روما.. هذه الأحداث كانت لها انعكاسات مهمة، وجعلت ضباطاً صغاراً (ضباط الثورة) المتخرجين وقتها

من الكليات العسكرية، جعلتهم يقومون بعمل سري وترتيبات لتغيير الأوضاع بشكل جذري، هذا ما كان هناك، أما في الخارج، فكانت الصحافة المصرية والرئيس عبد الناصر بوجه خاص يشنون حملة قوية وشديدة على الإمام أحمد ونظام حكمه.

سقوط الإمامة:

* إلى أي مدى كانت معطيات الواقع الاجتماعي السياسي والاقتصادي لليمن قد نضجت فيها الظروف الموضوعية لقيام الثورة ونجاحها؟

- الواقع أن الظروف الموضوعية كانت جاهزة لسقوط الإمامة ونهاية حكم الإمام أحمد، الذي أصبح وبشكل خاص من بعد عام **١٩٥٥**م غير مؤهل للحكم، وليس هناك من يمكنه إقناع الناس بأنها مازالت صالحة للحكم، كان كل ما حولنا في الوطن العربي، وبالذات في مصر، ثائراً وداعياً ضد الاستعمار، والاستعمار كان موجوداً في عدن، وضد الرجعية، وكانت الرجعية فيما حولنا، كانت كل هذه عوامل وإرهاصات ستؤدي بالتأكيد إلى ثورة **٢٦** سبتمبر، صحيح أن الإخوة في مصر كانوا - نتيجة للانفصال- لديهم ردة فعل ويبحثون عن متنفس وطني وثوري أو عربي، فكانت اليمن هي الخامة أو الأرض المناسبة لمثل هذا الحدث الثوري الذي أسهمت فيه مصر، ولا أقول: تورطت، فقد كانت مصر تقود التيار الوطني القومي العربي، وكان هناك تواصل مابين بعض الثوار (الساسة) والقيادة في مصر، وكان وقتها الدكتور البيضاني يشن حملة صاخبة من (صوت العرب)، وسمح في الحقيقة بعودة أبي الأحرار الشاعر الكبير الوطني محمد محمود الزبيري وأن يواصل بعض إذاعاته، فكان من المتوقع عندنا نحن في مصر - أي عند الطلاب - وفي الأوساط عموماً بأن اليمن مهيأة لحدث كبير، وما إن مات الإمام أحمد يوم **١٩**

أيلول/ سبتمبر ونقل جثمانه من تعز إلى صنعاء، حتى كان صغار الضباط وهم (الضباط الأحرار)، قد أعدوا العدة للقيام بالحدث التاريخي العظيم ثورة ٢٦ سبتمبر، على قلة الإمكانات وقلة العتاد والتوجس خيفة من كل ما حولهم.

البحث عن متنفس:

* أحدثت الثورة اليمنية انقساماً في الموقف العربي مع الثورة اليمنية أو ضدها.. إن لم يكن هناك حساسية، أيمكن أن نتحدث عن هذا الانقسام ولن نسميه تجنباً للحساسية؟

- لا ليس هناك حساسية! لأن كل هذا أصبح في حكم الماضي، وأن نتحدث عن الأشقاء في السعودية، فيما يخص تلك الفترة غير ما نتحدث عنه اليوم... ومعلوم أن جلالة المغفور له الملك فيصل قام بانقلاب ضد أخيه الملك سعود؛ لأنه كان يدرك أن الأمور جامدة في المملكة ومتخلفة، أما الرئيس عبد الناصر ونظامه فقد كان في حاجة إلى متنفس حقيقي بعد هزيمة الوحدة مع سورية، بالإضافة إلى أنه كان قد رفع شعاراً هاماً وهو (**بترول العرب للعرب**)، ومن ثم - في تقديري الشخصي - بقدر ما كانت مصر مهتمة بتغيير الأوضاع باليمن، بالقدر ذاته كانت تديرها ساحة للصراع المتمثل بين مصر التقدمية وبين المملكة العربية السعودية ومن ورائها في ذلك الوقت، هكذا دخل الصراع بين الجمهوريين والملكيين في إطار إقليمي ودولي، وكما تعرفون لم تعترف وقتها حتى المملكة الأردنية الهاشمية وإيران، كما أن بريطانيا لم تعترف بالنظام الجمهوري إلا في عام ١٩٧٠م، لذلك كانت شعارات تحرير جنوب اليمن من الوجود البريطاني أحد أهداف الثورة اليمنية ٢٦ سبتمبر، وأحد أهداف جمال عبد الناصر نفسه ضد الاستعمار أينما كان وقد رفع شعاره: (آن الأوان للاستعمار أن يرحل)، فدخل في القضيّة اليمنية

أطراف أخرى معنية وغير معنية، لهذا طالت الحرب سبع سنوات لا خمساً حتى كان التوقيع عام ١٩٧٠م على اتفاق ما عرف بـ (الاتفاق بين الملكيين والجمهوريين)، وكانت المصالحة الوطنية بعد حرب ثبت فيها النظام الجمهوري ثباتاً عظيماً، وخاصة في معركة السبعين يوماً التي كانت بقيادة البطل المرحوم الفريق حسن العمري وكل ضباط الثورة، بل وكل القوى الوطنية في حينه من قبائل جمهورية ومشايخ وكل أطياف الوطنيين. كانت الثورة على عتبات مرحلة جديدة هي المصالحة، ومن ثم تمت المصالحة في عام ١٩٧٠م، وذهب وفد إلى المملكة العربية السعودية وقتها برئاسة الأستاذ محسن العيني لحضور مؤتمر الدول الإسلامية لينتهي كل ذلك، في المقابل كانت هزيمة مصر ١٩٦٧م محزنة للغاية ومؤثرة تأثيراً قوياً فيما يدور في اليمن، وليس صحيحاً بأن وجود القوات المصرية كان سبباً في هزيمة مصر؛ فالحقيقة أن الهزيمة كانت في الداخل المصري، في وجود مراكز القوى، وعبث عبد الحكيم عامر وزمرته وصلاح نصر والنظام الذي أصبح الآن معروفاً، كل ذلك كان أسباب الهزيمة، إذن الوجود المصري في اليمن، لو توافرت له قيادة حكيمة ومخلصة ووطنية، لكان سنداً لمصر بأن تتوجه القوات التي في اليمن إلى المعركة، وخاصة أن تلك القوات كانت تتجدد دائماً، حيث بلغت ذروتها كما يقال: نحو ٧٠ ألفاً مع أن الإحصاءات والأرقام والأوراق الرسمية المصرية لم تنشر إلى اليوم، ولا نستطيع الحصول على ورقة واحدة عما دار في اليمن من أي جانب رسمي للأسف، ويفترض أن تكون مصر التي قادت التقدم والثقافة والحضارة إلخ... إذن، كانت هزيمة ١٩٦٧م عاملاً في إنهاء الدور المصري في اليمن. وكانت القمة العربية وقتها في الخرطوم، والتقى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والملك الراحل فيصل بن عبد العزيز واتفقا على تنفيذ اتفاق إيجاد سلام في اليمن، وجاءت إلى اليمن نتيجة ذلك البعثة الثلاثية برئاسة رئيس وزراء السودان

محمد أحمد محجوب، وكان ما كان، وتم في النهاية عودة الأمور بشكل تدريجي إلى طبيعتها، ولقد عانت اليمن في الحقيقة؛ سواء في فترة الحصار وما بعد الحصار، معاناة شديدة اقتصادية ونفسية واجتماعية، وخسائر في الأرواح وفي الأموال، إلا أنها عانت من ضغط اقتصادي بالغ، لدرجة أن أيام الحصار أو بعد الحصار لم يكن هنالك مرتبات كافية للقوات المسلحة التي تقاتل في الجبال أو الوديان، ومن ثم كان كل ما حولنا أو ما حول اليمن معتم قاتم، وكانت مشيئة الله أن تتحقق للثورة أهدافها، وهكذا كان.

صراعات وهمية:

* كان هناك الكثير من القيادات في الصف الجمهوري لها خلاف مع القيادات المصرية، وقد كان لذلك تداعيات سلبية على مسارات الدفاع عن الثورة، وهناك وجهات نظر متباينة تجاه الأسباب والعوامل والنتائج.. ما وجهة نظركم تجاه هذا الموضوع؟

- يؤسفني أن أقول إن نظرة فوقية كانت عند بعض القيادات المصرية، وكانت تظن بأنها جاءت لتحكم، لا لتساعد اليمنيين على الحكم وعلى تجاوز محنة الاقتتال في اليمن، ومن ثم دخلت هذه العينات من القيادات المصرية، وبالذات المخابرات، في صراعات وهمية مع بعض الشخصيات؛ لأنه لم يكن هنالك كيانات سياسية ولا أحزاب، حتى الأفراد الذين كانت لهم أحزاب لم يكن يعترف بأحزابهم رسمياً، فكانت تؤول وتتهم كل من له رأي أو موقف أو تصريح بأنه إما بعثي أو شيوعي أو أنه كذا أو أنه عميل للسعودية، وبهذا حدثت الإشكالات المؤسفة، وسبق أن أشرت إلى سجن حكومة الفريق العمري وأربعين من كبار رجال اليمن بمن فيهم المرحوم الكبير الأستاذ أحمد محمد نعمان، وكل وزراء حكومة الفريق العمري، ورئاسة الأركان، وكبار الضباط، وقيل فيما بعد

- كما سمعت من الإخوة الذين سجنوا - إن العميد وحيد المسؤول عن مكتب اليمن، جاء بعد الهزيمة ليقابلهم في السجن الحربي ويقول : إن الرئيس عبد الناصر لم يكن يدري أن في السجن الحربي مسؤولين يمنيين؟! وأن الأمور منتهية وستخرجون إن شاء الله خلال أيام، ومضت ثلاثة أشهر أو أربعة لم يسمعوا شيئاً من اعتذار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وإن كان يدري حقيقة فتلك مصيبة، وإن كان لا يدري فالمصيبة أعظم، كل الصحف - من النهار إلى الأنوار - صباح مساء، تكتب عن المسجونين، اللجنة الثلاثية برئاسة محمد أحمد محجوب ووزيري خارجية المغرب والعراق يتوسطون في إخراج المساجين، هذه محنة في الحقيقة وهي لا شك من أسباب نكسة ١٩٦٧م.

* بعض تقييمات من عاشوا في تلك الفترة، تعتبر أن خلاف القيادة اليمنية مع المصريين ناجم عن سوء فهم، مرتبط بتعقيدات الأوضاع حينها ووقتها؟

- مرة ثانية أقول رداً على السؤال الأساسي وهو أسباب الخلافات بين بعض القيادات اليمنية والقيادة المصرية، وأنا لا أسميها خلافات بل هي سوء فهم من الإخوة المصريين في ذلك الحين؛ كل اليمنيين من مختلف أطيافهم كانوا يقدرون الدور العروبي المصري في اليمن ويتمنون له أن يخرج من اليمن سليماً معافى، ولكن - كما ذكرت - سوء الفهم من جانب والتقارير السيئة من جانب آخر من قبل المخابرات المصرية، أو حتى بعض عملائها من بعض اليمنيين، ممن كان لهم علاقة مباشرة بهم، كانت تصور الأمور على غير حقيقتها، هذا جانب، الجانب الآخر أن مصر كانت تريد أن تحسم في البداية الأمر عسكرياً، ولم تتمكن من هذا، وكان انسحابها بعد هزيمة ١٩٦٧م مثار جدل كبير، ما الذي سيحدث للثورة اليمنية؟ وقد صمدت الثورة اليمنية رغم كل شيء، وبعد الانسحاب المصري. لا أريد

في الحقيقة أن أحمل الإخوة المصريين تبعات ما حدث كلية، بل هنالك إخوة يمنيون أخطؤوا، حتى إن بعضهم كتب في مذكراته وأشار إلى مثل هذه الأخطاء، ويمكن أن أشير بشكل خاص إلى آخر ما كتب، وهو مذكرات اللواء حسين المسوري في (أوراق من الذاكرة) وهو شاهد حال وعنصر عمل في الحرب وفي الثورة وفي حرب السبعين حتى صار بعد المصالحة رئيساً للأركان، عموماً هذا ما حدث، وعلينا كما سبق أن قلت من قبل، أن نرى الأحداث كما كانت لا كما نحب أن نراها اليوم، ومصر قامت بدور طليعي مشكور، وقد سفكت دماء أبنائها في الجبال والوديان، وذهب منهم شهداء ما يقرب من ١٥ ألفاً، وربما أكثر من ذلك، وهذا كان تخليداً للدور المصري وللأفكار أو المبادئ العربية المشتركة، ليس بين أبناء اليمن ومصر بل وأبناء الأمة العربية كلها.

مصر بزعامة جمال عبد الناصر كانت تقود حركة تحرير... وفي هذا السياق يأتي وقوفها إلى جانب اليمن، كما كان الحال مع الجزائر وشعوب أخرى، فكان لابد أن تواجه تحديات ..

كنا ننظر بحماس إلى معسكر الرئيس عبد الناصر والتوجه الوطني والتقدمي نحو حركة التحرير في العالم العربي، وقد تجاوز عبد الناصر العالم العربي إلى إفريقيا وآسيا، وفي الحقيقة أنه منذ مؤتمر باندونج في ١٩٥٥م كان هناك دور ريادي للرئيس عبد الناصر؛ سواء في الثورة الجزائرية ودعمها حتى تحقق لها الاستقلال والنصر، أو غيرها في إفريقيا، ولعل هذا من العوامل التي دفعت بالمعسكر الغربي، وفي طليعته بريطانيا، إلى أن يتكالب ضد سياسات عبد الناصر التحررية، ما من شك في هذا، من ثم ما جاء حدث ٦٧م إلا وقد تكالبت الكلاب على مصر وعلى عبد الناصر، وكان ما كان وهذا - مرة ثانية - لا يعفي عبد الناصر ولا مصر من أسباب الهزيمة.

* كان الصراع بين قوى الثورة والجمهورية وبقايا النظام الإمامي البائد، والطرفان امتداد إقليمي ودولي.. ماذا عما يسمى آنذاك بالطريق الثالث الذي كان يرى الحل في استقلال دولة الجمهورية بدولة اليمن الإسلامية؟

- نعم، أنا كنت ضد هذا الاتجاه، وقد ركب موجته وقتها الإخوة آل الوزير؛ الإخوة إبراهيم وشقيقه قاسم وزيد ومعهم الأستاذ محمد الرباعي ومحمد عبد الملك المتوكل الذي هو الآن المسؤول أو رئيس المشترك في دورته الحالية، هؤلاء كانوا يريدون حلاً وسطاً، وهو دولة إسلامية، وكان موقف كل القوى الوطنية والتقدمية ضد هذا، بما في ذلك موقف عبد الناصر ومصر، كان صاحب هذا التوجه تيار يمني عفا على أفكاره التاريخ، مع ذلك ربما كان اجتهاداً وطنياً نتيجة ما دار من صراع واقتتال، مما جعل وجهة نظر أولئك الإخوة في هذا الاتجاه.

* خرج المصريون بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧م من اليمن، ثم وقع انقلاب ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ومعركة حصار صنعاء والدفاع الملحمي عنها.. أين كنتم خلال هذه الأحداث؟

- أنا كنت في صنعاء أيام الحصار وبعد الحصار إلى سنة ١٩٧٠ م، فلم أغادر إلا في عام ١٩٧٠م إلى سورية، وكنت في صنعاء وانخرطت في المقاومة الشعبية، وكان دورنا أنا وأمثالي في حراسة أحياء صنعاء، وكنت مع زملاء من نفس الحي نحرس ليلاً حاراتنا، لم أخرج إلى المعركة من سوء الحظ لكن كانت المعركة أيضاً في الداخل ومواجهة المرجفين في المدينة، وقد أصبت لسوء حظي في يوم ٢٢ آب/ أغسطس أيام تلك الأحداث المؤسفة التي وجه فيها بعض قيادة اليسار الطفولي مدافعهم إلى مدينة صنعاء، فأصبت فيمن أصيب وجرحت ونقلت إلى المستشفى وبقيت ٦ أشهر أمشي بالعصا.

* حصار صنعاء جاء بعد انسحاب القوات المصرية، وهذا رجح نظرياً كفة المعسكر المعادي للثورة والجمهورية، لكن عملياً انتصر معسكر المدافعين عن الثورة ونظامها الجمهوري رغم الظروف الصعبة والإمكانات المحدودة.. هل الانتصار يرجع إلى الإيمان بعدالة القضية الوطنية والأمل والمستقبل؟

- كل هذه الأشياء (الإيمان، الأمل، القضية) ثم إن الجانب الآخر لا قضية له فيما يعمله، ولا تنس بأن حصار السبعين كان مستنداً ومدعوماً بالقوى الخارجية والمرتزقة، ممثلة بعدد كبير من الجهات الإقليمية والدولية؛ منهم البريطانيون وغير البريطانيين، فلم يكن لهم - بلغة اليوم - قضية ليدافعوا عنها حقيقة.

* في الانتصار الملحمي الذي حققه الشعب اليمني في معركة حصار الـ ٧٠ يوماً، أُسقط رهان أولئك الذين اعتقدوا أن الثورة والجمهورية انتهت بخروج الجيش المصري من اليمن.. ما تعليقكم على هذا الاستنتاج؟

- هذا صحيح، هذا تحليل مناسب؛ انتصار السبعين، بعد انسحاب الإخوة المصريين ليس فقط أسقط هذا الرهان ولكن أثبت أن للثورة اليمنية قوة دافعت عنها (حتى أمام الدول الأخرى) أثناء الاقتتال أو الحصار لصنعاء والانتصار قد أدى إلى الاعتراف بالجمهورية.. كان قد اعترف بها، في هذا الوقت أو بعده بقليل، الكثير من الدول، مع أن اليمن عضو في الأمم المتحدة وعضو في الجامعة العربية منذ ١٩٦٤م، كان الأستاذ الراحل الكبير أحمد محمد نعمان أول سفير للجمهورية أو مندوب في القاهرة في الجامعة العربية، لم يكن للقوات المعادية للجمهورية قضية، وقد قال رئيس المرتزقة الجنرال البريطاني برسي الذي زارنا قبل أربع سنوات، ونشر التوجيه المعنوي الجزء الأخير من سلسلة كتابات الثورة وتاريخ الثورة، ذكر بأنه لما كان يقود عملية الحصار

لصنعاء طلب الملكيون منه قطع الطرقات، وكان في ذلك - كما ذكر في مذكراته - خلاف بينه وبينهم في قصف المدن، وقال: لا علاقة للمواطنين في ما تريدون أن تعملوه وامتنع عن ذلك، ومع أنه مرتزق ويبيع بندقيته لمن يدفع، ولكن هناك مثل في الحرب، وهذا جنرال أو قائد أو ضابط بريطاني يعرف ما تعنيه الحرب، وأن الحرب لا تعني الضرب العشوائي وقتل الناس الأبرياء، كانت القوات الجمهورية ممثلة في قيادة الجيش وفي الضباط الذين انخرطوا كجنود وفي المقاومة الشعبية بمختلف أشكالها وألوانها تدافع عن مبادئ حقيقية، وتستبسل من أجلها، أما في الجانب الآخر: فلم يكن لهم شيء، أضف إلى ذلك عملاً لابد أن يذكره التاريخ للإمام محمد البدر؛ الذي قرر في عام ١٩٦٧م أن ينسحب من الإمامة ومن الأراضي السعودية، ويرحل إلى بريطانيا، وعاش هناك حتى مات في سنة ١٩٩٧م في لندن، وقد كنت سفيراً هناك، وعرض فخامة الأخ الرئيس علي عبد الله صالح - بالمناسبة - عن طريقي على أسرته أن ينقل جثمانه ليدفن في اليمن، لكنه كان قد أوصى أن يدفن بجوار والدته في لندن. لقد سجل ذلك الرجل موقفاً أسميه أنا بالموقف الوطني؛ إذ انسحب وهو ملك معترف به وإمام شرعي من وجهة نظرهم ونظره، حين رأى أن لا فائدة من الحرب، وإن هي إلا إسالة لدماء اليمنيين واقتتال بين الإخوة والأشقاء، وهكذا كان.

* ما مدى صحة اعتبار حركة ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر نتاجاً للمتغيرات التي أحدثتها نكسة حزيران/ يونيو ١٩٦٧م عربياً؟

- كانت كل الأسباب مواتية لحركة الخامس من تشرين الثاني/ نوفمبر، والدليل على ذلك رحيل الرئيس المغفور له عبد الله السلال، كان هذا المشير رئيس الجمهورية وطنياً، وبالدرجة الأولى، وهو وطني ولا يشكك أحد في وطنيته من قبل ومن بعد، ولكن الظروف التي أجبرته أن

يتخذ موقفاً أو أن يكون فيما يمكن أن يقال إنه هو الموقف المصري، عندما غادر في زيارة للعراق كان يودع الإخوة المسؤولين في الحديدة ممن ذهب يودعه، وقد سمعت من بعضهم أنه قال : حافظوا على الجمهورية حافظوا على الجمهورية، وكأنه يدرك أنه ذاهب ولن يعود، ومن ثم كانت حركة ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر نتاجاً طبيعياً للانسحاب المصري ولمواجهة القوى الملكية، ولهذا لم تطلق رصاصة واحدة ولم يسفك دم (عصفور) في تلك الحركة، وكانت كما لو كانت طبيعية، وكان ذلك كذلك.. طبعاً ٥ نوفمبر تاريخ هام، واليسار كان يرى بأن هذه حركة رجعية وبأنها عودة إلى الرجعية أو شيء من هذا القبيل، حقيقة الأمر كانت هي الحركة المعتدلة التي استطاعت أن تقود الجمهورية والثورة إلى بر الأمان، وقد تحقق في مصالحة عام ١٩٧٠م في ظل قيادة تلك الحركة برئاسة الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني ورئيس وزرائه الفريق حسن العمري الذي كان بطل حصار السبعين وهي التي قادت اليمن إلى السلام، وهي مرحلة كالحرب من البناء ومواجهة الأخطار المحدقة، وكانت كبيرةً كبيرةً في ذلك الحين.

حديث ذاكرة الفكر والتاريخ

(الحلقة الخامسة)[1]

* في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧م وقعت حركة انقلابية على حكومة الرئيس السلال، واختير القاضي عبد الرحمن الإرياني رئيساً للمجلس الجمهوري، وفي الـ ٣٠ من نفس الشهر والعام نال الجزء المحتل من اليمن استقلاله عن الاستعمار البريطاني، وكان يفترض أن تعلن الوحدة اليمنية.. لماذا لم يحصل ذلك؟ وما مدى علاقة التزامن بين حركة ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر مع الاستقلال في ذلك؟

- لا أكتمك بأن استقلال الجنوب في الـ ٣٠ من تشرين الثاني/ نوفمبر كان عاملاً هاماً له تأثيره في الشمال، ذلك أن الثورة وقيام الجمهورية العربية اليمنية كان من أركانها وحدة اليمن، وعندما قامت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بعد الاستقلال حدثت إشكالات ولغط وخلافات.. إلى آخره، هل يتم الاعتراف بهذا النظام؟ أم ينبغي الوحدة؟ بالتأكيد لم يتقدم النظام في الجنوب للوحدة، ولكنه لم يعلن أنه ليس جزءاً من اليمن، إلا أن الأحداث والأوضاع التي أفرزتها على الصعيد الوطني قد أثرت في توجيه الجبهة القومية وحركة القوميين العرب، فاتخذت مساراً مغايراً تماماً تجاه ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر وقياداتها التي يمكن أن نسميها بالمعتدلة، وليست بالمتطرفة.

---

(١) نشرت بتاريخ ٢٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٠م الموافق لـ ١٢ شوال ١٤٣١هـ، العدد ١٥٣٦.

علاقات تنظيمية:

* بعد انتصار شعبنا لثورته ٢٦ أيلول/ سبتمبر مطلع ٦٨م شهدت صنعاء صراعاً داخل الصف الجمهوري، وفي عام ٦٩م شهدت عدن صراعاً انتهى بانقلاب على حكومة قحطان الشعبي، وتم تصفية عدد من القيادات.. لو أعلنت فور إعلان الاستقلال أكانت ستتخذ منحى آخر؟

- نعم وتم تصفيتها مثل فيصل عبد اللطيف وقحطان الشعبي ومن بعدهم.. من ركبوا أحداث ٢٣ آب/ أغسطس هم من كان لهم علاقات تنظيمية ببعض القيادات في الجبهة القومية وفي حركة القوميين العرب بشكل عام، ولذلك كان الخلاف، وأبعدت حركة ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر الطرفين المتقاتلين في ٢٣ آب/ أغسطس كانوا فيما أذكر ٣٥-٤٠ ضابطاً، وأبعدوا إلى الجزائر، وقد عادوا بعد فترة قصيرة لم تتجاوز بضعة أسابيع، وذهب اليساريون منهم إلى عدن وانضموا إليها.

تحديات وأخطار:

* ومن لم يكن يمينياً ولا يسارياً؟

- عادوا إلى صنعاء وتعاونوا جميعاً في استمرار الدفاع عن الثورة، وطبعاً إن نهاية الحصار كانت بداية الأمن والسلام للجمهورية العربية اليمنية وقتها، ولكن كانت هنالك تحديات وأخطار وأعداء كثيرون في الداخل وفي الخارج، وواجهت قيادة ٥ نوفمبر ومن معها من الوطنيين والمثقفين كل تلك الأخطار، وقد تمكنت أن تدير شؤون البلاد بسلام حتى تموز/ يوليو ١٩٧٤ م ومجيء المقدم إبراهيم الحمدي وحركته الانقلابية ومن معه.

إنجاز عظيم:

* ألا ترون أن أحداث صراعات وحروب نهاية الستينيات وعقد

السبعينيات من القرن الماضي، سواء على مستوى كل شطر أو بين شطري الوطن، آنذاك كان القاسم المشترك بينها عدم إعادة تحقيق الوحدة؟

- لا شك بأن الكثير من اليمنيين كانوا يعتقدون بأن حل كل ذلك هو بإعادة تحقيق الوحدة اليمنية، والملاحظ أن قيام الوحدة اليمنية في ٢٢ أيار/ مايو ١٩٩٠م كان عاملاً وإنجازاً عظيماً أنهى كثيراً من الأمور، ليس الصراعات والحروب الثلاثة التي كانت في الماضي، بل والحواجز النفسية والعوامل الفكرية والتشوهات التي كانت عند البعض هنا أو هناك، لقد تبين للجميع أن اليمن فوق الجميع، وبأن الوحدة قوة للجميع وأن التفرق هو هزيمة حقيقية نفسية ووطنية للجميع.

الميثاق الوطني:

* أحداث عاصفة متسارعة شهدها اليمن في الربع الأخير من عقد سبعينيات القرن العشرين.. ففي فترة أقل من عام قتل ثلاثة رؤساء، وهذا كان ينذر أن الوطن كله يتجه إلى أوضاع كارثية.. وتحمل فخامة الرئيس علي عبد الله صالح مسؤولية الوطن في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٧٨ م إلا أن التوقعات التشاؤمية لم تنته.. ما هي قراءتكم للأوضاع حينها؟

- لا أكتمك بأنني كنت في الخارج وأتابع ما يدور، وكان هنالك مخاوف كبيرة جداً جداً، وعندما انتخب مجلس الشعب الأخ الرئيس علي عبد الله صالح رئيساً للجمهورية كتبت بعض الصحف الأوربية، ومنها (الهيرالدتربيون)، أن نظام علي عبد الله صالح لن يمكث أكثر من ٦ أشهر، وها نحن أولاء في نهاية العقد الثالث من حكم الرئيس علي عبد الله صالح ومن استقرار الأوضاع في اليمن.. طبعاً كان هناك تحديات ومخاطر.. لكن بعد المكابدة لما كان يدور من اقتتال في المناطق الوسطى و..و .. إلى آخره، ثم جاء الميثاق الوطني الذي حاول ونجح إلى درجة كبيرة بتوحيد وجهات النظر حول مفهوم الوطنية والحكم الوطني، وكيف

أن مختلف المثقفين وذوي الرؤى المختلفة يمكنهم أن يتعاونوا من أجل سلامة هذا الوطن، وقد كان الرئيس علي عبد الله صالح هو رجل المرحلة ورجل التاريخ الذي تمكن بشجاعته وحكمته وحنكته العالية من أن يتولى قيادة السفينة إلى بر الأمان، بل وأكثر من ذلك إلى تحقيق الوحدة عام ١٩٩٠م.. لا ننسى الأحداث المؤلمة والجراحات التي لا تزال آثارها ناتجة من أحداث ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦م في عدن.. كان الشمال قد انتهى من كل الإشكالات القتالية والعصابات وما شابه ذلك إلى عام ١٩٨٦م، وحدث ما لم يكن متوقعاً، وإن كان نتيجة طبيعية للاقتتال العقائدي القبلي الذي لا يعرف شيئاً عن الماركسية ولا عن التقدمية، بل كان صراعاً قبلياً بين فئات متصارعة في قمة الحكم، وأدت إلى ذبح ١٥ ألف يمني بريء بالهوية، وهذه نتيجة لذلك النظام الذي كان قائماً على أفكار لا تتناسب مع بيئة اليمن ولا طبيعته، ولا مع فهم الرؤساء المحركين له.. أنا أعرف بل، ولي زملاء وإخوان ممن كانوا في قيادة الجنوب، وبعضهم مازال وبعضهم معنا الآن، كان العقلاء منهم يمقتون وينقدون النظرية المجلوبة التي لا جذور لها في التاريخ اليمني ولا العربي ولا الإسلامي، ومن ثم لم يكن هنالك من مخرج إلا الوحدة اليمنية، وهي السبيل الوحيد التي نكون تحت مظلتها يمنيين متعايشين في خير وسلام وأمن وتقدم.

جريمة بحق الوطن:

* تمرد العناصر الحوثية وتخريبها في صعدة.. حاملو الشعارات والدعوات الانفصالية في بعض مديريات المحافظات الجنوبية، وما يرتبط بها من إيقاظ الفتن وإشاعة ثقافة الكراهية.. فضلاً عن الإرهاب، هذه أخطر التحديات التي يواجهها الوطن وأمنه واستقراره ومنهجه الديمقراطي.. ما نظرتكم لطبيعة المواجهة معها؟

- لابد من مواجهتها بعقل مفتوح وبوعي لمجريات الأحداث التي بعضها كانت نتائج لبعض المساوئ في الفترة الماضية، دع عنك ما يقال من تدخل إيراني أو شيعي جعفري في صعدة، وهو صحيح على كل حال، لكن كان لابد من التأمل بأن بعض المناطق كصعدة أهملت إهمالاً كلياً من حيث التنمية ومن حيث الرخاء، بالإضافة إلى أنه وجد طرف خارجي متطرف سلفي ضد مذهب عمره ١٠٠٠ سنة في صعدة وفي اليمن كلها، وهو المذهب الزيدي، لا أدري مدى التدخل الدافع لمثل ما جرى والذي نحن الآن والحمد لله على أبواب إقفاله، خاصة مع الوساطة القطرية الشقيقة، أما ما يحدث في الجنوب من حراك فهو حراك كان ممكن أن يكون موضوعياً لو اعتمد على الجانب السلمي والمطالبة بما هو مشروع، وربما كان هنالك بعض الأخطاء التي جرت مؤخراً عبر لجان لتصحيحها، لكن مهما بلغت الأخطاء لا يمكن أن يؤدي ذلك إلى رفع شعار يدعو إلى الانفصال؛ فهذه جريمة؛ جريمة في حق الوطن وفي حق الشعب، ليكن هنالك مطالب برفع مظالم أو تعسف أو أخطاء يجب تصحيحها.. بغض النظر عن أحقية المطالب والادعاءات أو بطلانها فهي مقبولة.. لكن رفع شعار الانفصال هذا كلام لا يعقل دستورياً ولا وطنياً ولا دينياً ولا عربياً ولا دولياً، ونرجو الله أن تنتهي هذه الأزمة وألا يسمع قادة الحركة هذه إلى المرتزقة في الخارج الذين يدفعون بهم دفعاً ولهم مصالح في الخارج وأموالهم فيه، وهذا كلام معروف ولسنا في حاجة أن نكرر ماذا يعمل على سالم البيض أو عبد الله الأصنج أو غيرهما؛ فهم لا يحبون للوطن الأمن والسلام والاستقرار، والدليل على ذلك ما يثيرونه ويضخمونه في أمور الجنوب والدعوة إلى عودة دولة الجنوب، وهذا من المستحيلات، الشعب اليمني لا يقبل جنوبه قبل شماله شيئاً من هذا القبيل، ولكن هذا لا يمنع من القول بأنه ربما كان هنالك أخطاء، وهي أخطاء إدارية وأخطاء يمكن إصلاحها بكل المعايير. اليمن كله متضرر،

الحالة الاقتصادية والأزمة المالية تصيب كل اليمنيين، ولا يمكن أن نقول إنها تصيب الإخوة في الجنوب ولا تصيب إخوانهم في الشمال !؟ نحن كلنا في وضع واحد، ومع ذلك فلا بد -وأكرر لابد - من الإصلاح ومن استقصاء الأخطاء، ومن معرفة ماذا حدث ولماذا حدث؟

لن تسقط الوحدة:

* من بعد اتفاق شباط/ فبراير **٢٠٠٩**م بين المؤتمر الشعبي والأحزاب المعارضة في اللقاء المشترك، والذي مدد بموجبه لمجلس النواب وأجلت الانتخابات لإفساح الوقت للحوار، الذي ظل يراوح كشعار حتى برزت بوادر في الآونة الخيرة.. أهذه المؤشرات كافية للقول بأن الأمور تتجه إلى الحوار؟..وهل أنتم متفائلون بنجاحه؟

- إنني أرجو - كما يرجو كل مواطن صالح - أن يكون هذا هكذا، ومع ذلك، ودعني أكون صريحاً، إذا لم ينجح الحوار فلن تسقط الوحدة ولن تسقط الجمهورية، والالتزام بالدستور وقواعده هو أساس شعار كل اليمنيين، إذا لم ينجح الحوار لا سمح الله فليس لنا من حكم إلا الدستور، والدستور واضح في كل مواده، نحن مقبلون على انتخابات، وهي ما يمكن أن نقول إنه أمر دستوري لا فرار منه، وينبغي للمتحاورين أن يجعلوا نصب أعينهم مصلحة الوطن بالدرجة الأولى، وألا يكونوا متخذي مواقف سابقة أو سالفة في أمر من الأمور، فالطريق الديمقراطي هو الذي اخترناه جميعاً، والدستور هو الحكم بداية ونهاية، واليوم - كما قرأنا في الصحافة - هنالك اجتماع للجنة المصغرة برئاسة الدكتور عبد الكريم الإرياني والأستاذ عبد الوهاب الآنسي، ونأمل أن يصلا إلى تحريك الأمور الجامدة بعض الشيء، وهي جامدة نتيجة تشكيلات المشترك المتعددة الأطراف المختلفة الأهواء المتعددة المصالح، وأنا شخصياً لا أدري ما الذي يجمعهم، فأرجو الله أن يجمعهم حب الوطن والنجاح فيما نصبو إليه جميعاً.

الطريق الأمثل:

* لكن ما دام الجميع يدعون إلى الحوار الذي هو الطريق الأمثل لحل مشاكلنا وما نواجهه من صعوبات وتحديات.. فلماذا لا يتجه الجميع باتجاه الحوار؟

- هذا صحيح، الحوار هو الطريق الأمثل.. وإذا لم يتم الوصول إلى نتائج فليس حواراً، معناه أن هناك أموراً مسبقة في رؤوس المتحاورين، سواءً كان المؤتمر أو الاشتراكي أو الإصلاح أو البقايا الصغيرة الأخرى، لكن أرجو الله أن يحذر كبار العقلاء، بالذات في الإصلاح والاشتراكي، من مخاوف التدهور في الجانب السياسي، وإن كان لا خوف في النهاية؛ فالوطن فوق الجميع.

ثورة الإنترنت:

* تراجع الفعل الثقافي المؤثر أمام السياسي ربما أسهم في غوغائية ما يحدث وعدم منطقيته.. ألسنا بحاجة إلى استراتيجية ثقافية تسهم في إعادة التوازن للواقع؟

ليس بالضروري أن يكون كل عمل ثقافي له استراتيجية، فقد امتهنت هذه الكلمة كثيراً، فكل شيء (استراتيجي)، ما يهمني في الحقيقة هو نشر الثقافة والعلم والعلوم بأوسع معانيها ومبانيها.. مجلة (الثوابت)، والتي كنت عضواً في هيئة التحرير فيها ثم رئيسها من ٩ سنوات تهدف إلى نشر المعرفة والتنمية الفكرية، بل التنمية بشتى أشكالها، بكل ما نستطيع، ويساهم معنا كل القادرين، والساحة اليمنية - للأسف - إن لم تكن ضعيفة فخالية من هذا المجال، بل إن بعض المجلات ذات الطابع الرسمي يتأخر صدورها أكثر من عام وعامين، ونادراً ما تنتظم، وكذلك المجلات التي تصدر عن الجامعات، وإن كانت جامعة عدن أكثر دأباً من

جامعة صنعاء في إصدار المجلات، وبدأت جامعة صنعاء منذ العام الفائت في الحقيقة في انتظام إصدار مجلتها المحكمة، العامل الضعيف في حياتنا هو العامل الثقافي والتعليمي، وأنا سبق أن ذكرت بأن مناهجنا ضعيفة جداً إن لم تكن متخلفة، وقلت أيضاً إن الكتاب غير منتشر مع وجود ثورة الإنترنت وتوابعها، والجيل الجديد أو الشباب للأسف كاد يكون ضائعاً بين مناهج ضعيفة وبين مساوئ في القنوات التلفزيونية وبعض ما تخرجه الإنترنت، لهذا فهي مهمة الجميع؛ مهمة الجامعات اليمنية، مهمة المدرسة ووزارة التربية والتعليم، فهذا الجيل أضعف بكثير من كل الأجيال الماضية، وهي ظاهرة للأسف في الوطن العربي كله وليست في اليمن فقط، لكننا أضعف حلقاتها.

دو ر المثقف:

* عندما يكون المثقف مستقلاً يكون إسهامه أكبر في إحداث حركات إيجابية لمصلحة الإصلاح والتغير إلى الأفضل، ويحد من هذا الدور وجوده في السلطة.. من خلال تجربتكم، أين الصواب والخطأ في هذا الطرح؟

- هذا المثقف في الحقيقة إن شاء أم أبى له دور، سواء كان في مجال الحكم أقصد أنه كان متورطاً في الحكومة أو مستقلاً بذاته؛ فالمثقف لا يستطيع أن يكون في (برج عاجي) أو منعزلاً عما يدور في المجتمع وفي سياسات الحكومة، دوره أساسي وهام، وكانت تدور قديماً حوارات ونقاشات حول دور المثقف ودور السياسي وأيهما يصنع الآخر أو أيهما يؤثر في الآخر، وما دور المثقف عندما يتحمل المسؤولية ويصبح مجرد تابع لسياسات هذه الحكومة، وهكذا، الأمر من وجهة نظري مختلف بعض الشيء، لا يمكن أن يكون المثقف مثقفاً إلا إذا كان نصب عينيه الإصلاح والثقافة والعلم والتعليم، ولا أدري كيف يفسر البعض أن

المثقف يمكن أن يتراجع عن مبادئه، المبادئ واحدة عند كل الناس؛ مثقف أو غير مثقف، ومن ثم قد يكون شخص غير مثقف ناكصاً عن واجباته، وقد يكون هنالك مثقف يؤدي واجباته وقد يكون العكس الصحيح، هذا في عمق الشخص من الناحية السيوكلوجية أو النفسية أو الضعف البشري، فأنت لا تستطيع القول إن فلاناً نزيه أو نظيف اليد لأنه مثقف أو إن فلاناً متلبس بالرشوة وكذا مع أنه مثقف!؟، هذه أمور لا علاقة لها بالثقافة، يفترض بالتأكيد أن المبادئ هي التي تردع، والمثقف هو في أعلى درجاتها.

كان عصامياً:

* الأستاذ الراحل الكبير أحمد جابر عفيف حملكم مواصلة مسيرته الوطنية الفكرية والثقافية، وفي وصيته تأخذ مكانه في مؤسسة العفيف.. أيمكنكم أن تعطونا صورة عن هذه القامة الوطنية السياسية والثقافية والعلاقة التي جمعتكم؟

- الأستاذ الراحل الكبير أحمد جابر عفيف رجل يذكره التاريخ اليمني لأشياء كثيرة حققها وعمل من أجلها، كان عصامياً، فقد عرفته عندما كان مجرد مدرس في المدرسة الإعدادية أو الثانوية في الحديدة في أواسط الخمسينيات، ثم انتقل إلى صنعاء، وكان له توجه ثقافي ووطني، وقد ذكرت بأنه كان ممن يأتي إلى المدرسة الثانوية وساحتها ويشجع في الرياضيات بل والثقافة، وكان رائداً تربوياً وكان له هموم وآمال تمكن من تحقيقها بجده وعصاميته، وأولها وأهمها تأسيسه لجامعة صنعاء في عام ١٩٧٠م رغم المعارضة الكبيرة في ذلك الحين، المعارضة ليست لإنشاء جامعة وإنما للاعتقاد (وكان فيه بعض الحق) بعدم وجود فريق وأساتذة يمنيين يقومون بهذا الواجب، وقد تحدى الجميع وتمكن من تأسيس هذا الصرح الشامخ، وواجه معارضة كبيرة حتى من التيار المتزمت أو التيار

الإخواني عندما أنشأ كلية الحقوق، فقالوا إن الشريعة الإسلامية ستضيع.. ومن هذا الكلام، لذلك سميت كلية الحقوق والشريعة كان له اهتمامات ثقافية كبيرة، وعمل وزيراً للتربية لسنوات، خاصة في حكومة الأستاذ محسن العيني في السبعينيات، وعندما اعتزل الحكومة قرر في أواخر الثمانينيات إنشاء، أو بالأصح إعداد (موسوعة يمنية)، وكنت واحداً من أربعة أو خمسة ممن استشارنا في الأمر، واقترحنا أن يؤسس مؤسسة ثقافية، وتم الاتفاق على أن يكون اسمها (مؤسسة العفيف الثقافية)، وأن تكون الموسوعة اليمنية التي كان لي شرف العمل بها، وتحمل الكثير من موادها، فصدرت في طبعتها الأولى موحدة لليمن أرضاً وشعباً، فقد صدرت قبل الوحدة، وثم كان كل موادها عن اليمن دون تفريق سياسة وثقافة واقتصاداً وعلوماً، إلى آخره.

وكان باجتهاده وبسهره وباهتمامه يتابع كل شيء في هذه المؤسسة وبماله، والحقيقة أن موضوع المال عند اليمنيين ما زال مشكلة؛ فكثير من الأغنياء باستثناء (مؤسسة السعيد) مازالوا لا يعرفون كيف ينفقون سعة أموالهم في مجالات مهمة كالتعليم وكالثقافة، الأستاذ أحمد جابر مع أنه من بيئة بسيطة وبنى نفسه بنفسه، وكان عصامياً في جمع ما استطاع أن يجمع، فقد نذر نفسه وكل ما يملك لمؤسسة العفيف الثقافية، وفي مرضه الأخير، بل قبل مرضه بسنوات، كان قد كتب وصيته، وأوصى بأن أخلفه رئيساً لهذه المؤسسة التي أعتد بها، وأتشرف باستمرار قيادته لها، ومعي عدد من الإخوة الأساتذة الكبار الذين ساهموا في (الموسوعة اليمنية)، ومنهم الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله والأستاذ أحمد الوادعي، والأستاذ الجيولوجي الوزير السابق أحمد قايد بركات، وآخرون كانوا معنا من قبل، والأستاذ الدكتور حميد العواضي، الذي كلفناه بمواصلة الإعداد للطبعة الثالثة من (الموسوعة اليمنية) ونحن إن شاء الله خلال

عامين نأمل أن تصدر في ٦ أو ٧ مجلدات، نحن نواصل مسيرة الأستاذ أحمد جابر الذي هو أحد معالم التاريخ العلمي والأدبي والجامعي في يمن الثورة ويمن الوحدة.

* أخيراً ماذا عن الفعاليات التي تميزت بإحيائها مؤسسة العفيف؟.. أهناك توجه لتجديد أنشطة المؤسسة وتطويرها؟

- هي مستمرة كما هي إلى آخر هذا العام، وسنواصل فيما كانت فيه، وربما نضيف أو نجدد، فالتجديد طبيعي للحياة وللمواصلة في نفس الاتجاه.